

التقية

عند أهل البيت (ع)

بحث تحليلي يتناول التقية على ضوء
النصوص والواقع التاريخي

بقلم

مصطفى قصير العاملي

القسم العقائدي في المعاونة الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

ق. ١٤١٥هـ.

هوية الكتاب

الكتاب: التقية عند أهل البيت(ع)

المؤلف: الشيخ مصطفى قصير العاملي

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت(ع)

الطبعة: الثانية

المطبعة: نكين

سنة الطبع: ١٤١٦هـ.ق

«حقوق الطبع محفوظة»

قم، صز ب ٨٣٧ - ٣٧١٨٥، ت ٧٧١ - ٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة لا بدّ منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله الطاهرين.

البعض قد يتصور أن الحديث عن «الوحدة الإسلامية» معناه أن ينضوي المسلمون جميعاً تحت ظل دولة واحدة وعلم واحد، فيرى أن الحديث عن ذلك في أجواء التمزق والتشرذم التي يعيش فيها العالم الإسلامي، وفي نظام دولي يقدر الخطوط الحمراء التي رسمت على الخارطة الجغرافية فجعلت من هذا العالم مجموعة كبيرة معقدة من الهياكل، يرى أن الحديث عن ذلك في مثل تلك الظروف بعيد جداً عن الواقعية.

ولكن... ليس الأمر كذلك..

صحيح أن الدولة الإسلامية الكبرى، والكيان السياسي الواحد، الذي يجمع تحت لوائه كل المسلمين يعدّ من أكمل مظاهر الوحدة الإسلامية التي نصبو إليها، وغاية ما يتطلع إليه كل مسلم، إلا أن ملاحظة الظروف والعوامل التي تشكّل عقبة أمام تحقيق ذلك الهدف العظيم، أو تلك التي تشكّل محفزاً له لا بدّ منها في دراسة الواقع، والتخطيط بما يتناسب معه، والعمل على إزالة تلك العقبات والعوائق وتنمية العوامل المحفزة.

٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

الخطوة الأولى في هذا السبيل تنطلق من الرؤية الصحيحة للواقع الذي أدى بالمسلمين إلى ما هم عليه الآن من انقسامات وتشتت، فإن الكثير من الدارسين، والعديد من رواد الوحدة الإسلامية، انطلقوا في عملهم، ومارسوا أنشطتهم، وبذلوا جهوداً عظيمة في هذا المجال، على رؤية مفادها أن الاختلافات الفكرية على مستوى المعتقد وعلى مستوى المنهج الفقهي والأصولي هي التي شيدت حاجزاً كبيراً، ووضعت سداً محكماً أمام تقارب المذاهب الإسلامية. ولأجل هذا كرّسوا جهودهم في مجال ردم الهوة الفكرية ومعالجة المشكلة من هذا الجانب، فراحوا يبحثون عن نقاط الالتقاء، وحاولوا حل النزاعات المذهبية اعتقاداً منهم بأن هذا هو السبيل الوحيد الناجح للتأليف بين القلوب وجمع الشتات وتحقيق وحدة المسلمين. وربما حققوا في هذا المضمار خطوات موفقة، إلا أن المشكلة لا تزال قائمة مستعصية.

والحقيقة أن الاختلافات الفكرية والمذهبية ليست هي العامل الوحيد، بل ليست من عوامل الفرقة والانقسام، وإنما هي عبارة عن أدوات تستعمل في إثارة النزاعات، هي عبارة عن أسلحة تستخدم لبث الفرقة، ومن الواضح أن السلاح لا يشكل عاملاً في نشوب الحرب، ولكن هناك عوامل خاصة تؤدي عادة إلى اتخاذ قرار الحرب، فإذا اتخذ القرار صار للسلاح دور فعال في الفتك والحسم.

كلمة لا بدّ منها ٧

صحيح أن نزع السلاح من شأنه أحياناً أن يوقف رحى الحرب، إلا أنه عادة يكون حلاً مؤقتاً، لا يعالج النار التي تبقى تحت الرماد تنتظر الفرصة المناسبة والظرف الملائم لتتأجج من جديد.

وعندما تكون الأسلحة من قبيل الخلافات الفكرية فإنه يعسر نزع السلاح بل ربما يستحيل، إذ إن القناعات الفكرية والامور الاعتقادية لا يتيسر للإنسان التخلي عنها غالباً، وإذا رضي بكتمانها وأعرض عن اظهارها خوفاً أو حرصاً على مصلحة أكبر، فذلك لا يعدو أن يكون حالة مؤقتة سرعان ما تزول.

من هنا كان علينا أن ندرس العوامل الحقيقية التي دفعت بالمسلمين إلى ساحة الصراعات، وأدت بهم إلى هذا الواقع المؤلم الذي لا يحسدون عليه، وأن ندرس الأساليب العملية لنزع تلك العوامل واستبدالها بما يحقق الهدف المنشود، ولو كان ذلك في خطة طويلة الأمد، فالمهم أن نحدّد المسار الصحيح، ونضع يدنا على ذلك الفايروس الفتاك، وننطلق بالخطوة الأولى، وسنجد أن الخطوات التالية تتابع بشكل طبيعي.

في هذا المجال نحن بحاجة ماسة لدراسة تاريخنا دراسة متأنية وعميقة، وبروح علمية متجردة؛ فهذا الكنز الدفين يحوي الكثير مما ننشده، فإن الواقع الذي نعيش فيه له جذور ممتدة عبر التاريخ، لا بد من الوصول إليها واكتشاف بداياتها، وربطها بالحاضر، بالضبط كما يفعل الطبيب في حالة الأمراض الوراثية والمتجذرة، فما لم يصل إلى تلك الجذور لن يوفق في اكتشاف العلاج الناجع.

٨.....التقية عند أهل البيت(ع)

والذي أعتقده أن حالة التمزق والانشقاق في جسم العالم الاسلامي لم تنشأ من عوامل ذاتية، وانما هي من صنع أياد غريبة عن الإسلام، فمما لاشك فيه أنه كان هناك في كل عصر بعض العناصر الذين يهتمون بإثارة النزاعات بين المسلمين وزرع الفتنة والخلافات بأدوات وأساليب مختلفة، وفي العصر الحاضر يكاد يكون هذا الأمر بديهياً.

يعني أنه دائماً يكون هناك طرف مستفيد من حالة الخلاف وحالة التفرق، هذا الطرف مرة يكون سلطاناً وحاكماً يطلب الملك والقدرة، ومرة أخرى يكون دولة عظمى تريد وضع اليد على مقدرات المسلمين وخيراتهم، واليوم نحن المسلمين في كل بقاع العالم نعاني من هذا الكابوس ونكتوي بناه، وفي بعض الأحيان يكون ذلك الطرف عنصراً شيطانياً شريراً أو فريقاً كذلك يحب الفتنة والنزاعات، فيجد المستفيدين فيه أفضل أداة يستخدمونها في سبيل مآربهم.

فالبداية من هنا..

أولاً: أن يشخص المسلمون عدوهم الأول، عدوهم الأخطر، وأن يدركوا أن إخوانهم الذين يختلفون معهم في المذهب أو في بعض الفروع الفقهية أو المسائل التي ترجع إلى عالم السياسة والحكم ليسوا أعداءهم، ولا يشكلون خطراً عليهم، أو على الأقل ليسوا الغريم الأخطر. ثانياً: لابد من حصر النزاعات والخلافات المذهبية في إطارها الصحيح، وعدم السماح لأعدائنا باستغلالها واستثمارها بما يحقق أهدافهم.

ثالثاً: نحن لا ندعو إلى التخلّي عن القناعات الفكرية والمعتقدات الخاصة، وإنما ندعو المسلمين جميعاً أن ينظروا إلى الجوامع والمشتركات قبل أن ينظروا إلى مواطن الخلاف المذهبي بينهم.

وبعبارة أخرى علينا أن نرتفع بطريقة قراءتنا للمذاهب الأخرى، التي نختلف معها في بعض الأمور، فلا نقرأها بخلفيّة الباحث عن العيوب والثغرات، والمتمسك للعثرات؛ فإن هذه الطريقة عادة يتّبعها من اتخذ قرار الحرب - كما ذكرنا سابقاً - وقطع حبل الوصال، وإنما نقرأها بخلفية الباحث المتجرد عن الحقد والعصبيّة وطالب المعرفة. ولا شك أن هذه الطريقة سوف تكشف عن الكثير من نقاط الالتقاء، والجوانب الإيجابية العديدة في فكر الطرف الآخر الذي نريد دراسته.

ولعل أفضل الوسائل العملية لتحقيق هذا المستوى من القراءة والنظر، أن يزال الحاجز النفسي الذي أقيم بين المسلمين. فنحن ندعو المجامع العلمية عند المذاهب الإسلامية كافة أن تفتح على بعضها، ومن هذا المنطلق ندعو علماء المذاهب والفرق الإسلامية كافة لزيارة حوزاتنا العلمية وحضور الندوات والمباحثات. لا نريدها زيارات رسمية دبلوماسية، وإنما نعني بها زيارات استطلاعية علمية، مفتوحة من جهة الزمان. كما أدعو المجامع العلمية في الحوزات العلمية الشيعية أن يقوموا بمثل هذه الخطوات باتجاه المذاهب الأخرى.

١٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

وهناك دعوة مخلصه للقيمين على الجامعات والمؤسسات العلمية
بافتتاح اقسام خاصة بدراسة المذاهب الإسلامية، شرط أن يدعى لها
أساتذة متخصصون من نفس تلك المذاهب. لماذا يضع كل فريق سداً
فولاذياً أمام المطبوعات والمنتجات الفكرية للفريق الآخر، ولا تدرس
إلا بخلفية البحث عن الثغرات والعيوب؟!!

ولا يفوتني هنا أن أسجل أسفي على ما يعانیه الكتاب الشيعي في
البلاد الاسلامية، فكثيراً ما يقف عاجزاً عن اقتحام حواجز الأجهزة
الأمنية والجمركية، وربما أعيد من حيث أتى، وربما اقتيد إلى
مستودعات الكتب المحظورة.

لماذا يمنع الملايين من المسلمين المثقفين من الاطلاع على واقع
المذاهب الأخرى من خلال كتبهم، بينما يسمح بدراسة كتب الضلال
والمطبوعات المشحونه بالكفر والانحراف والفساد الأخلاقي؟ لماذا
يسمح للإعلام المعادي للإسلام أن يأخذ مكانه في كل بيت ومكتب
ومدرسة وإدارة في بلادنا الإسلامية، ولا يسمح للإعلام الإسلامي بشيء
من ذلك؟

إنه الواقع الأليم الذي نعيش فيه، إنها سياسة التجهيل التي تمارس في
هذا القرن الذي يدعى أنه قرن العلم والانفتاح والحرية.

كلمة لا بدّ منها ١١

فالخطوة الأولى نحو «الوحدة الإسلامية» هي أن يفتح المسلمون جميعاً على بعضهم، ويعرف بعضهم بعضاً، ويثق بعضهم ببعض الآخر. نسأل الله سبحانه أن يجمعنا على التقوى، وأن يوحد قلوبنا ويؤلف بيننا، وأن يصلح كل فاسد من أمورنا، بحق صاحب هذه المناسبة التي نعيش ذكراها، الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

مصطفى قصير العاملي

لبنان

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المنتجبين.

لقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأكتب فيه، وليطرح ضمن أبحاث مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي ينعقد في طهران، لعدة حيثيات: الأولى: أن «التقية» من الموضوعات التي أسيء الاستفادة منها، واستخدمت للطعن على الشيعة، والايقاع بينهم وبين الفرق الإسلامية الأخرى، من خلال التفسير الخاطئ لها، وتحميل المفهوم الكثير من المعاني البعيدة عن الحقيقة والواقع. الثانية: أن «التقية» أسلوب عمل لجأ إليه الشيعة بتوجيه من أئمتهم، بهدف التخفيف من حالة الانشقاق الحاصلة في الأمة، التي وضع بذورها وأجج نارها حكام الجور.

الثالثة: «التقية» تصنف ضمن شعارات التشيع، في حين أنها لا تختص به، وكل ما في الأمر أن الشيعة لجأوا إلى التقية نتيجة للحملات الشعواء

١٤.....التقية عند أهل البيت(ع)

التي تعرضوا لها قروناً متطاولة بهدف تصفيتهم والقضاء عليهم، فالتصقت بهم. وأما الآخرون فلم تلجئهم الظروف للعمل بها إلا نادراً.

الرابعة: أن العديد من الكتاب والباحثين الشيعة فضلاً عن السنة لم يدركوا حقيقة التقية بدقة، ونتيجة لذلك وقعوا في أخطاء فاحشه في دراسة أخبارها وفي تطبيقها واستنباط الأحكام منها.

هذه الحثيات مجتمعة دعيتي للخوض في غمار هذا البحث الذي لا يخلو عن صعوبة ومشقة، لأنه يرتبط بشكل وثيق بتاريخ أئمة أهل البيت(عليهم السلام) الذي لم يلق عليه الضوء الكافي لحد الآن، وبقيت الكثير من جوانبه غامضة نتيجة للظروف الصعبة التي مرت بهم وبشيعتهم الأبرار.

المفهوم في اللغة والإصطلاح:

التقية: من اتقى ووقى. ومعناها الحذر.

قال في اللسان: وقد تَوَقَّيتُ وانتَقَيْتُ الشيء وتَقَيَّتُهُ أَتَقِيهِ وَأَتَقِيهِ تُقَى وَتَقِيَّةً وَتَقَاءً: حذرته^(١).

وقال ابن الأعرابي: التُّقَاة والتَّقِيَّة والتَّقْوَى والاتقَاء كله واحد^(٢).

وقد غلب استعمال التقاة والتقية في الحذر من غوائل الناس، بينما غلب استعمال التقوى في الخوف والحذر من عقاب الله سبحانه وتعالى.

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٥ / ٤٠٢ مادة وقى.

(٢) المصدر السابق.

وفي الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام): التقيّة معاملمة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم^(١).

والمعنى الاصطلاحي للتقيّة: إظهار خلاف الواقع في الأمور الدينية بقول أو فعل خوفاً وحذراً على النفس أو المال أو العرض^(٢).

يقول الشيخ الأنصاري (رحمه الله): إنها التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق^(٣).

عرّفها محمد رشيد رضا بأنها: ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق لأجل توقي الضرر^(٤).

وعرّفها الشيخ محمد أبو زهرة بأنها: أن يخفي الشخص ما يعتقد دفعاً للأذى^(٥).

وعرّفها السرخسي بأنها: أن يقي الانسان نفسه من العقوبة بما يظهره وإن كان يضمّر خلافه^(٦).

(١) جامع أحاديث الشيعة ١٤ / ٥١٥، ح ٣٢٨٦، وابن أبي جمهور: عوالي اللآلي ١ / ٣٢٢، والنوري: مستدرك الوسائل ١٢ / ٣٣٧.

(٢) محمد علي الحسني: دراسات في عقيدة الشيعة الإمامية / ١٥٤.

(٣) الشيخ مرتضى الأنصاري: رسالة التقيّة / ٣٧.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ٣ / ٢٨٠.

(٥) محمد أبو زهرة: الإمام الصادق / ٢٥٥.

(٦) السرخسي: المبسوط ٢٤ / ٤٥.

١٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

وعرفها ابن حجر العسقلاني بأنها: الحذر من اظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير^(١).

أدلة شرعيّتها:

١ - الكتاب الكريم:

ورد في القرآن الكريم عدة آيات دلت على مشروعية التقية نذكرها تباعاً:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢).

ولا يكون كتمان الإيمان إلا بممارسة التقية، وقد مدحه الله على ذلك.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً، وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

قال العلامة الطباطبائي: وفي الآية دلالة ظاهرة على الرخصة في التقية على ما روي عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)^(٤).

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٢ / ٢٧٩.

(٢) سورة المؤمن / ٢٨.

(٣) سورة آل عمران / ٢٨.

(٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٣ / ١٥٣.

وفي الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً، ثم من عليه بإطلاق الرخصة له عند التقيّة في الظاهر، أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله ويظهر له استعمال ذلك، موسعاً عليه فيه، وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأمة. قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فهذه رخصة تفضل الله بها على المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقيّة في الظاهر^(١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

والإكراه هنا إنما يكون على التظاهر بالكفر الذي يصدق مع كون القلب مطمئناً بالإيمان، والآية - كما ذكر جميع المفسرين - نزلت في صدر الدعوة الإسلاميّة حيث كان المستضعفون من المسلمين الأوائل يتعرضون لأقصى المحن لصرْفهم عن دينهم، وقد استشهد في هذه الظروف العصيبة ياسر وزوجته سمية، إلا أن عمارة أعطاهم بلسانه ما كانوا يريدون وقلبه مطمئن بالإيمان.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٣٩٠.

(٢) سورة النحل / ١٠٦.

١٨.....التقية عند أهل البيت (ع)

فأمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمله وقال له: «إن عادوا فعد»، وفيه نزلت هذه الآية^(١).

وهذه الآيات وإن دلت على جواز التقية من الكفار، إلا أنه لا بد من التوسع إلى غير الكفار من أهل الظلم والجور الذين يسعون لفتنة الإنسان عن دينه ومعتقده الحق. وذلك لو حدة المناط، فإن تولى الظالمين منهبي عنه أيضاً، والرخصة إنما هي لحفظ النفس وهي في الموردين سواء.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢).

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣).

سادساً: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

رحيم

(١) راجع: الكليني: الكافي ٢ / ٢١٩ والمجلسي: بحار الأنوار ١٩ / ٩٠ و ٣٩ / ٣١٦ و ٦٩ / ٣٧ و ٧٥ / ٣٩٣ ، ٤٣٠ ، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٨٠ - ١٨٤ ، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٨٧ ، والفخر الرازي: التفسير الكبير ٢٠ / ١٢١ والطباطبائي: الميزان ١٢ / ٣٥٧ ، والطبرسي: مجمع البيان ٦ / ٣٨٧ وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣ / ٢٤٩ ، والبغدادي: تاريخ بغداد ١ / ١٥٠ ، وغيرها من التفاسير وكتب الحديث.

(٢) سورة البقرة / ١٨٥.

(٣) سورة الحج / ٧٨.

(٤) سورة البقرة / ١٧٣.

(٥) سورة الأنعام / ١٤٥.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).
فجوزت هذه الآيات تناول لحم الميتة عند الضرورة لأجل حفظ
النفس، وهي تدل على أن الضرورة حاکمة على الأدلة الشرعية، وموارد
التقية من هذا القبيل.

٢ - السنة الشريفة:

هناك الكثير من الروايات الصحيحة والمعتبرة التي دلت على
مشروعية التقية وهي طوائف:
الطائفة الأولى: ما دلّ على أن الأحكام الشرعية الأولية ترتفع عند
الضرورة من قبيل حديث الرفع الذي رواه الخاصة والعامّة.
فقد روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم): رفع عن أمتي تسعة الخطأ والنسيان، وما أكرهوا
عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما اضطروا إليه، والحسد والطيرة
والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة^(٢).
ورواه الكليني أيضاً بسنده مع اختلاف يسير^(٣).
فقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وما اضطروا إليه» صريح الدلالة على
أن الضرورات تبيح المحظورات، وموارد التقية كلها من هذا القبيل.

(١) سورة النحل / ١١٥.

(٢) الصدوق: التوحيد / ٣٥٣، والخصال / ٤١٧، والمجلسي: بحار الأنوار / ٢ / ٢٨٠ و ٣٠٣ / ٥
و ٤٤٧/٢٢ و ٣٢٥ / ٥٨.

(٣) الكليني: الكافي / ٢ / ٤٦٣.

٢٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه قال: ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه^(١).

ومن هذه الطائفة: حديث «لا ضرر ولا ضرار» المروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢). وفي بعضها زيادة «في الإسلام» أو «على المؤمن» وكلها تؤدي المطلوب، وهو انتفاء الضرر، ولا شك بأن تحمل الإنسان القتل والسجن والاعتداء عليه وعلى أعراضه وأمواله ضرر منفي بهذا الحديث، فله اتقاؤه.

الطائفة الثانية: ما ورد في الترخيص بالكذب والتورية لدفع الظلم.

عن أبي عبد الله(عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): لا كذب على مصلح، ثم تلا: ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، ثم تلا: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ثم قال: والله ما فعلوه وما كذب^(٣).

وروي عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): إنا قد روينا عن أبي جعفر(عليه السلام) في قول يوسف(عليه السلام): (أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) فقال: والله ما سرقوا وما كذب... فقال أبو عبد الله(عليه

(١) الصدوق: إكمال الدين / ٣٧٤، والمجلسي: بحار الأنوار / ٧٥ / ٤١٠ - ٤١١، وجامع احاديث الشيعة ١٤ / ٥١٦.

(٢) الكليني: الكافي / ٥ / ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، والطوسي: تهذيب الأحكام / ٧ / ١٤٦، ١٦٤، والصدوق: من لا يحضره الفقيه / ٣ / ٧٦، ٢٣٣ و ٤ / ٣٣٤.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار / ١٢ / ٥٥، وراجع / ٢ / ٢٠٦، ٢٠٩، و / ١٢ / ٢٩، ٤٤، ٣٠٨ أيضاً.

السلام): .. إن الله أحب اثنين وأبغض اثنين، أحب الخطر فيما بين الصفيين، وأحب الكذب في الإصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إن إبراهيم (عليه السلام) قال: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ارادة الإصلاح، ودلالة على أنهم لا يفعلون، وقال يوسف ارادة الإصلاح^(١).

ونفي الكذب هنا إما باعتبار كونه مع قصد التأويل، فيخرج من الكذب ويدخل في التورية، أو لكونه خارجاً عن الكذب المحرم، وكلاهما يؤدي الغرض.

وقد ورد في قوله (فقال إنني سقيم) قال أبو عبدالله (عليه السلام): والله ما كان سقيماً وما كذب، وإنما عنى سقيماً في دينه مرتاداً..^(٢).

قال أبو حامد الغزالي: قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، أرايت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك، فقال: أرايت فلاناً؟ ما كنت قائلاً؟ ألتست تقول: لم أره، وما تصدق به؟ وهذا الكذب واجب.

قال أبو حامد: كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب، ومهما كان لا يتم فيه مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بالكذب فالكذب مباح^(٣).

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٣٤١، والمجلسي: بحار الأنوار ١٢ / ٥٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ١٢ / ٢٩ و ١١ / ٧٦ - ٧٧.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين ٣ / ١٣٧.

٢٢.....التقية عند أهل البيت(ع)

فإذا كان الكذب يباح لدفع الظلم والإصلاح، وقد يجب أحياناً، كما إذا توقف عليه انقاذ النفس، وحقن الدماء، فالتقية من باب أولى؛ لأنها لا تستلزم الكذب في كل حالاتها، وإنما تتحقق أحياناً بالكتمان والإتيان ببعض العبادات على نحو يوافق رأي المتقى منه ومذهبه.

ولو توقفت على الكذب فهو كذب ضروري خارج عن الحرمة كما في موارد الإصلاح، بل هي من أبرز مصاديق الإصلاح؛ لأن فيها حفظ الحقوق وحقن الدماء. والعجيب ممن يشنع على الشيعة فيجعل التقية كذباً محضاً، بل يتمادى فيقول: إنهم (أي الشيعة) سموا الكذب تقية^(١)، وغاب عن هذا أن الكذب انما يحرم إذا لم يكن لأجل الإصلاح، ولا لأجل دفع الظلم والجور، ولا لحقن دماء المسلمين، بل غاب عنه أن المحرمات إذا زاحمت ما هو أهم منها في الشريعة الإسلامية تسقط ويباح ارتكابها.

يقول السيد محمد بن عقيل العلوي: اتفق أصحابنا على جواز الكذب عند الضرورة بل وللمصلحة وهو عين التقية، لكن إن عبّرت عنه بلفظ التقية منعه كثير منهم، لكونه من تعبيرات الشيعة، فالخلاف فيما يظهر لفظي، والله أعلم^(٢).

الطائفة الثالثة: رواياتنا الخاصة المستفيضة في الأمر بالتقية والحث

عليها:

(١) احسان إلهي ظهير: الشيعة والسنة / ١٥٣.

(٢) ابن عقيل العلوي: النصائح الكافية / ٢٩٠ - ٢٩١.

روي عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنه قال: إن التقية ترس المؤمن ولا
إيمان لمن لا تقية له^(١).

وقال: اتقوا على دينكم فاحجوه بالتقية؛ فإنه لا إيمان لمن لا تقية
له^(٢).

وقال: ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، قيل وما الخبء؟ قال:
التقية^(٣).

وقال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه^(٤).

قال العلامة المجلسي: ترس الله: أي ترس يمنع الحق من عذاب الله
أو من البلايا النازلة من عنده^(٥).

وروي أنه(عليه السلام) قال: كان أبي(عليه السلام) يقول: وأي شيء أقر
لعيني من التقية؟! إن التقية جنة المؤمن^(٦).

وسئل أبو الحسن(عليه السلام) عن القيام للولادة، فقال: قال أبو
جعفر(عليه السلام): التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له^(٧).

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٢٧، والحميري: قرب الإسناد / ٣٥.

(٢) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٨، والبرقي: المحاسن ١ / ٤٠١، والحر العاملي: وسائل الشيعة
١٦ / ٢٠٥ والمجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٣٩٨.

(٣) الصدوق: معاني الأخبار / ١٦٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٧.

(٤) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٠، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٧.

(٥) المجلسي: مرآة العقول ٩ / ١٨٤، وبحار الأنوار ٧٥ / ٤٣٥.

(٦) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٠، والبرقي: المحاسن ١ / ٤٠١، والحر العاملي: وسائل الشيعة
١٦ / ٢٠٤، ٢١١، والمجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٣٩٨.

(٧) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٩، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٤.

٢٤.....التقية عند أهل البيت(ع)

وروي عن أبي جعفر(عليه السلام) أنه قال: خالطوهم بالبرانية
وخالطوهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية^(١).

وعن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: يا مدرك، رحم الله عبداً اجتر مودة
الناس إلى نفسه، فحدثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون^(٢).

وعنه(عليه السلام) قال: .. عليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم
منهم، وإياكم ومما ظنّتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم
وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها
فيما بينكم وبينهم^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين(عليه السلام):... وآمرك أن تستعمل التّقية في
دينك فإن الله يقول: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ
تَقَاةً﴾ وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا علينا إن ألجأك الخوف إليه،
وفي اظهار البراءة إن حملك الرجل عليه^(٤) ... الحديث.

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٠، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٩.

(٢) الصدوق: الخصال ٢٥ / ٢٢٠، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٢٠.

(٣) الكليني: الكافي ٨ / ٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٧، والمجلسي: بحار
الأنوار ٢١١/٧٨.

(٤) الطبرسي: الاحتجاج ١ / ٥٥٥ - ٥٥٦، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٢٨ - ٢٢٩،
والمجلسي: بحار الأنوار ١٠ / ٧٤ و ٧٥ / ٤١٨.

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ قال: بما صبروا على التقية، «ويَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» قال: الحسنه: التقيّة، والسيئة: الاذاعة^(١).

أقول: هذا ليس من باب التأويل كما توهم بعضهم، وإنما هو من باب التطبيق والجري.

هذا غيض من فيض الروايات الواردة في التقية من طرفنا، ومن أراد الاستقصاء فليراجع المصادر وكتب الحديث الموسعة.

٣ - دليل العقل وسيرة العقلاء:

التقية من الضرورات التي يفرضها العقل بالإضافة إلى الشرع الذي حث عليها وأجازها كما تقدم.

إن فكرة التقية ليست من مختصات الشيعة ولا من مخترعاتهم، بل إن العقلاء بطبعهم مفطورون على التهرب من الضرر والفرار منه، بحسب الوسائل المتاحة، التي تضمن لهم السلامة والنجاة والأمن، وعندما يرى العقلاء أنفسهم عاجزين عن دفع الضرر بالقوة وغيرها من وسائل الحماية والدفاع، يلجأون إلى مجارة الغير ممن يخاف ضرره ومداراته لدفع شره، وربما التظاهر بالتسليم له في الفعل والقول، إن لم يمكن بالقول فقط، خاصة عندما يكون منشأ الخوف العقيدة التي يلتزم بها الإنسان والأفعال المترتبة عليها.

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٧، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٣، والمجلسي: بحار الأنوار ٣٩٧/٧٥، والبرقي: المحاسن ١ / ٤٠٠.

٢٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

بل إن العقلاء يعدّون ترك التقية أحياناً خلاف العقل، وذلك عندما لا يكون هناك أية ثمرة مادية ولا معنوية تعود بالنفع على الإنسان من خلال تعريض نفسه للتلف والأخطار.

نعم إن العقلاء يعتبرون التضحية والفداء من الكمالات، لكن عندما يكون هناك مواجهة ويكون هناك غاية يأمل الإنسان تحقيقها من خلال ذلك، وهذا خلاف فرضنا.

وقد أقرت الشريعة هذه السيرة العقلائية وأمضتها بالجملة.

التقية عند أهل السنة:

ابن عباس: التقية باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان ولا يبسط يده للقتل^(١).

الحسن البصري: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة إلا في قتل النفس التي حرّم الله^(٢).

الشافعي: جَوَزَ التّقية بين المسلمين كما جَوَزَها بين الكافرين محاماة على النفس^(٣).

الفخر الرازي والنيسابوري: تُجَوِّزُ التّقية لصون المال - على الأصح - كما تُجَوِّزُ لصون النفس^(٤).

السيوطي: يجوز أكل الميتة في المخمصة، وإساعة اللقمة في الخمر، والتلفظ بكلمة الكفر، ولو عمّ الحرام قطراً بحيث لا يوجد فيه حلال إلا نادراً فإنه يجوز استعمال ما يحتاج إليه^(٥).

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٢ / ٢٧٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٢ / ٢٧٩، والفخر الرازي: التفسير الكبير ٨ / ١٣، والقرطبي: الجامع لاحكام القرآن ٤ / ٥٧، ومصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٦٤٣.

(٣) النيسابوري في هامش تفسير الطبري ٣ / ١٧٨، والفخر الرازي: التفسير الكبير ٨ / ١٣.

(٤) الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨ / ١٣، والنيسابوري في هامش تفسير الطبري ٣ / ١٧٨ - ١٧٩.

(٥) السيوطي: الأشباه والنظائر / ٧٦.

٢٨.....التقية عند أهل البيت (ع)

الشاطبي: أنكر على الخوارج قولهم: ان التقية لا تجوز في قول ولا فعل على الاطلاق والعموم، ووصف ذلك بأنه مخالف لكليات شرعية أصلية وعملية^(١).

الجصاص: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ يعني أن تخافوا تلف النفس وبعض الأعضاء، فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ؛ وعليه الجمهور من أهل العلم^(٢).

ابن الحنفية (لرجل من عزة): لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم بتقيتهم، ولا تقاتل معهم، (قال الراوي: يعني بني أمية)، قال: قلت وما تقيتهم؟ قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم فيدفع الله بذلك عنك عن دمك ودينك، وتصيب من مال الله الذي أنت أحق به منهم...^(٣).

ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكلماً به^(٤).

وقد كان حذيفة يقول: فتنة السوط أشد من فتنة السيف. قال السرخسي: وكان حذيفة ممن يستعمل التقية^(٥).

وفي الروايات: جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: لا جناح عليّ في طاعة الظالم إذا اكرهني عليها^(٦).

(١) الشاطبي: الموافقات ٤ / ١٨٠.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن ٢ / ٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥ / ٩٦.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٨٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٦٤٣.

(٥) السرخسي: المبسوط ٢٤ / ٤٦.

(٦) السرخسي: المبسوط ٢٤ / ٤٧.

وقد اتقى الشعبي عندما أنكر على احد القصاصين في الشام فضربوه حتى قال برأي شيخهم نجاة بنفسه^(١).

في قصة عبدالله بن وهب وحيب بن زيد المازني لما أخذهما مسيلمة الكذاب فقال: اتشهدان أني رسول الله؟ فأبى حبيب أن يشهد له فقتله وقطعه عضواً عضواً، وأقر له عبدالله بن وهب وقلبه مطمئن بالإيمان فلم يقتله وحبسه، وبقي حتى جاء المسلمون وأنقذوه^(٢). وكان هذا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وروي أن مسيلمة كان أخذ رجلين من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فخلّاه. ثم دعا الآخر وقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم قالها ثلاثاً، فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضيلة فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعه عليه^(٣).

بريد بن عميرة: فلحقت بعبد الله بن مسعود فأمرني بما أمره به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أصلي الصلاة لوقتها وأجعل صلاتهم تسيحاً

(١) محمد عجاج نويهض: السنة قبل التدوين / ٢١١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ٣١٦.

(٣) الجصاص: أحكام القرآن ٢ / ٩ - ١٠، راجع قصة مسيلمة الكذاب هذه مع الرجلين في: مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٦٤٢، والمجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤١٣، وابن أبي جمهور: عوالي اللآلي ٢ / ١٠٤. وأغلب التفاسير.

٣٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

(قال ابن عساكر: يعني أن الأمراء إذا أخرجوا الصلاة أصلها لوقتها، ثم أصلي معهم نافلة مخافة الفتنة)^(١).

وروي هذا المعنى عن أبي ذر(رضي الله عنه) أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة؟! ثم قال: صل الصلاة لوقتها ثم انهض فإن كنت في المسجد حتى تقام الصلاة فصل معهم^(٢).

ومن الواضح أن الصلاة معهم تقية ولأجل المداراة، ولم يقل: أعدها معهم ليكون من أجل ادراك الجماعة.

وروي أن الحجاج بن علاط السلمي قال بعد أن أسلم: يا رسول الله، إن مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة، فأذن لي أن آتي مكة لأخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه، فأذن له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، لا بد لي من أن أقول، (أي أتقول وأذكر ما هو خلاف الواقع، أي ما أحتال به لما يوصل إلى أخذ مالي)، قال: قل... الحديث^(٣).

وروي أنه قال لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): فأنا في حل إن أنا نلت منك وقلت شيئاً، فأذن له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول ما شاء^(٤).

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ / ٢٠٥.

(٢) مسند أحمد ٥ / ١٦٨.

(٣) الحلبي: السيرة الحلبية ٣ / ٥١.

(٤) الحلبي: السيرة الحلبية ٣ / ٥٢.

تقية ابن عمر وغيره في الزكاة:

قال أبان: دخلت على الحسن وهو متوار زمان الحجاج في بيت أبي خليفة، فقال له رجل: سألت ابن عمر أَدفع الزكاة إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء والمساكين. قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك إن ابن عمر كان إذا أمن الرجل قال: ضعها في الفقراء والمساكين^(١).
وكان الثوري يقول: إن اكرهوك (يعني على دفع الزكاة) فهو يجزي عنك، ولا تدفعها إليهم^(٢).
وكان معمر يقول: ما أخذوا منك أجراً عنك وما خفي عنهم فضعها في مواضعها^(٣).

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٤ / ٤٧ - ٤٨.

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٨، وفيه أيضاً عن غيرهم مثله.

(٣) المصدر السابق ٤ / ٤٨، وفيه أيضاً عن غيرهم مثله.

أقوال المفسرين:

النيسابوري:

وللتقية عند العلماء أحكام:

منها: أنه إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالة ولكن بشرط أن يضمم خلافه...
ومنها: أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم. قال أتشهد أنني رسول الله؟ فقال: نعم، فتركه. ودعا الآخر وقال: أتشهد أن محمد رسول الله؟ فقال: نعم نعم نعم، فقال: أتشهد أنني رسول الله؟ فقال: إني اصم - ثلاثاً - فقدّمه وقتله، فبلغ ذلك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهيناً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه، ونظير هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أكرهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.
ومنها: أنها تجوز فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما الذي يرجع إلى ضرورة كالقتل والزنا وغصب الأموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة.
ومنها: أن الشافعي جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس.

ومنها: أنها جائزة لصون المال - على الأصح - كما أنها جائزة لصون النفس لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ومن قتل دون ماله فهو شهيد.

قال مجاهد: كان هذا أول الإسلام فقط لضعف المسلمين. وروى عوف عن الحسن أنه قال: «التقية جائزة إلى يوم القيامة» وهذا أرجح عند الأئمة^(١).

الفخر الرازي:

قريب منه جداً^(٢).

القرطبي:

قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت التقية في جدّة الإسلام قبل قوة المسلمين، فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوّهم. قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثماً. وقال الحسن التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية في القتل... والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم...^(٣).

ابن كثير:

... إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته^(٤).

(١) النيسابوري في هامش تفسير الطبري ٣ / ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨ / ١٣.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٥٧.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٥٧.

الطبرسي:

... التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح، وليس تجوز في الأفعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين^(١).

الطوسي:

والتقية - عندنا - واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحق عندها^(٢).

الطباطبائي:

وبالجملة الكتاب والسنة متطابقان في جوازها في الجملة، والاعتبار العقلي يؤيده، إذ لا بغية للدين ولاهمّ لشارعه إلاّ ظهور الحق وحياته، وربما يترتب على التقية والمجارة مع أعداء الدين ومخالفي الحق حفظ مصلحة الدين وحياة الحق ما لا يترتب على تركها. وإنكار ذلك مكابرة وتعسف^(٣).

(١) الطبرسي: مجمع البيان ٢ / ٤٣٠.

(٢) الطوسي: التبيان ٢ / ٤٣٥.

(٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ٣ / ١٥٣.

موارد التقية:

من خلال الاستعراض السابق لما في كتب الفقهاء والمفسرين والروايات عند الطرفين يظهر اتفاق الجميع على جواز التقية في الجملة. لكن هناك خلافات في التفاصيل والأحكام والموارد.

ففي زمان التقية ذهب مجاهد إلى حصر جوازها في صدر الإسلام زمان ضعف المسلمين، وأما بعد قوتهم وعزتهم فلا. وهذا بالحقيقة يرجع إلى دعوى انتفاء موضوعها الذي هو الاضطرار ولأجله لم يوافقه على ذلك المحققون وأهل العلم.

وباعتبار المتقى منه يظهر من أكثر العبارات أن التقية الجائزة عند تسلط الكفار والخوف على النفس منهم فللمسلم اظهار كلمة الكفر، كما هو مورد الآيات الشريفة المستدل بها وبعض الأخبار كقصة مسيلمة الكذاب. إلا أنه لما كان المورد لا يخصص الوارد إذا كان حكماً عاماً ذهب آخرون إلى أن الحالة بين المسلمين إذا اشبهت الحالة بين الكافرين وحصل خوف على النفس من إظهار شيء من الأحكام والمعتقدات الدينية جازت التقية وذهب إلى ذلك الشافعي - كما تقدم - والتزمت به الشيعة.

وكذلك يظهر الخلاف حول الموارد التي يتقى لأجلها، فمن قائل أنها خاصة في مورد الخوف على النفس من التلف، ومن قائل بالتعدّي

٣٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

إلى موارد الخوف على المال، إذ إن من قتل دون ماله فهو شهيد، وعصمة مال المسلم كعصمة دمه.

والحقيقة أن هذا الخلاف ناشى من اختلافهم في مبنى جواز التقية من جهة، وفي النظر إلى الحالة التي عليها المسلمون وأنها تشكل موضوعاً خارجياً مجزواً لها أم لا. فمثلاً عندما يسأل الفقيه عن حكم أكل لحم الميتة، فتارة يجيب بالحرمة بالنظر إلى الأدلة الأولية، وأخرى يجيب بالإباحة كما لو رأى أن المكلف فعلاً مضطراً لتناوله - كما في فرض المخمصة - وأحياناً يقول أنها محرمة مالم تحصل الضرورة، وهذا أدق أسلوب في بيان الأحكام الشرعية. وعليه أيضاً بنى الخلاف حول كونها رخصة أو كونها واجبة.

التقية إنما شرّعت لصون الأنفس والأعراض والمهم من الأموال، وأبيح للمؤمن أن يرتكب ما يحرم شرعاً بحسب العنوان الأولي لأجل ذلك، فهي اذن داخلة في باب التزاحم بين الأحكام. ومن المعلوم أنه في هذا الباب يراعى الأهم مقابل المهم. ومن هنا يتبين إمكان وضع قاعدة كليّة على أساسها يشخص حكم التقية بحسب المتقى منه وبحسب المورد وبحسب شخص المكلف.

عن الباقر(عليه السلام): جعلت التقية ليحقن بها الدّم، فإذا بلغ الدّم فلا

تقية^(١).

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٠، والبرقي: المحاسن ١ / ٤٠٤، والمجلسي: بحار الأنوار ٧٥ /

فإذا كان إظهار العقيدة لا يشكل بنظر الشارع مورداً له من الأهمية ما لحفظ النفس أو العرض أو المال، قدّم الثاني عليه وأبيح له اخفاء العقيدة. وكذلك بالنسبة للبراءة من أعداء الله الواجبة أو موالاتهم المحرمة.

أما إذا كانت مسألة إظهار العقيدة وما يستتبعها من لوازم على درجة من الأهمية، بحيث نعرف أهميتها القصوى وأن الشارع المقدس يقدمها على كل شيء، فلا شك هنا بأن التقية تحرم.

والموارد تختلف، فإن المؤمن العادي إذا أسره العدو وطلب منه الخروج من دينه أو ارتكاب ما يحرم في عقيدته، ولم يكن هناك في الممانعة والإصرار أي فائدة تذكر تعود على الدين كان حفظ نفسه أهم. أما إذا كان إنساناً آخر له منزلة ومكانة بحيث يشكل ذلك منه طعناً في صحة الدين والمذهب، ويؤدي إلى فتنة المؤمنين عن عقيدتهم، فلا شك هنا أنه ليس له أن يتقي بل عليه بالصبر والجهاد.

وكذلك الأمر بالنسبة لاختلاف موارد المتقى فيه، فإن المطلوب من التقية حفظ النفس أو العرض أو المال، فلو كان ذلك يتوقف على قتل الغير أو انتهاك عرضه أو سرقة ماله لم يتحقق ملاك جواز التقية، لأنها شرعت وجعلت ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فلا تقية.

فالتقية إذن مثلها مثل اكل لحم الميتة ومثل الدخول في ملك الغير، وغير ذلك من المحظورات التي تباح عند الضرورة وعندما يزاحمها حكم آخر أهم في نظر الشريعة الإسلامية المقدسة.

٣٨.....التقية عند أهل البيت(ع)

ولأجل هذا لا يوجد اي داع لوضع القيود وتخصيص التقية في هذا المورد دون ذلك، إلا إذا كان باعتبار النظر إلى الموضوع الخارجي وتشخيص الحكم الشخصي للمكلف أو المورد. وهذا هو الذي تدل عليه رواياتنا الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام):

فقد روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه قال: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحله الله له^(١).

وروي عنه أيضاً: التقية في كل ضرورة^(٢).

وعن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز^(٣).

وعنه(عليه السلام) أنه قال: ولا حنث ولا كفارة على من حلف تقية يدفع بذلك ظلماً عن نفسه^(٤).

وعنه(عليه السلام) قال: وإن التقية لأوسع مما بين السماء والأرض^(٥).

(١) الكليني: الكافي ٢، ٢٢٠، والبرقي: المحاسن ١ / ٤٠٣ - ٤٠٤، والحر العاملي: وسائل الشيعة ٢١٤/١٦.

(٢) البرقي: المحاسن ١ / ٤٠٣، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٧.

(٣) الكليني: الكافي ٢ / ١٦٨، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٦.

(٤) الصدوق: الخصال ٦٠٧، وابن شعبة: تحف العقول (رواه عن الرضا(عليه السلام))، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٠.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤١٢، وجامع أحاديث الشيعة ١٤ / ٥٠٧، ورواه في مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٦٤٣ عن أبي جعفر.

يفهم من مجموع هذه الروايات وغيرها أن التقية تتسع لكل الضرورات، بشرط أن يكون هناك مصلحة في التقية أهم بنظر الشريعة المقدسة من المصلحة الفاتئة بسبب الالتزام بها. ولا شك أن تحديد الأرجح من حيث الأهمية قد لا يتأتى دائماً إلا ببيان وتصريح من الشريعة نفسها، ولأجل ذلك ورد في بعض النصوص نهي عن التقية في شرب المسكر وفي المسح على الخفين كما في الرواية الواردة عن الامام الصادق (عليه السلام): التقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين^(١).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ليس في شرب المسكر والمسح على الخفين تقية^(٢). فهذان الموردان يحتمل أن يكون استثناءهما من جهة أهمية المورد في نظر الشريعة، فلا يقدم عليهما مصلحة، ولا يباح الالتقاء فيهما، وهو ما نستبعده خاصة في مورد المسح على الخفين، وخاصة إذا كان الخوف على النفس، ويحتمل أن يكون ذلك من جهة علم الإمام (عليه السلام) بعدم حصول الاضطرار للالتقاء فيهما، خاصة في المجتمع الإسلامي الذي هو المحيط الذي يتحدث عنه الإمام (عليه السلام)، حيث أن المسكر كان مسلّم الحرمة وربما من ضروريات الدين حرمة، والمسح على الخفين لا يقول أحد بوجوبه تعييناً، فيمكنه اختيار المسح

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٧.

(٢) الصدوق: الخصال / ٦١٤، والمجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٣٩٥.

٤٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

على البشرة دون محذور، أو لكون المكلف في مندوحة يتمكن فيها من أداء المسح على البشرة دون أن يلفت إليه أحداً، كأن يمسح أثناء تقديم قدميه للغسل وأمثال ذلك، وإلا فلا يعقل أن يأمر الإمام(عليه السلام) المكلف أن يضع نفسه في معرض التلف في سبيل ترك المسح المذكور.

ثم إن تشخيص الضرورات والموارد التي يتقى فيها يخضع لدراسة الظروف والخصوصيات التي تختلف من زمان إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر. وإلى هذا الأمر يشير النص الوارد عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: التقية في كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به^(١).

إن كل شخص إذا درس الواقع المحيط به، وعرف طبعاً درجات الأحكام من حيث الأهمية، يمكنه أن يحدّد الحالة التي هو فيها، والضرورة وعدمها، ومقدارها، ثم بعد ذلك يطبق التقية.

ولابدّ من التعدي في دراسة الضرورات إلى غايات أخرى أبعد من حفظ النفس وصور المال والعرض، وإذا كانت هذه الضرورات محور كلام الفقهاء والمفسرين فلأنها الأغلب ابتلاءً، وإلا فإن التقية من أجل حفظ نفس الشريعة وبيضة الإسلام تدخل في الأولويات التي لا يقدم عليها شيء، فإن بعض انحاء التقية تساق ما يطلق عليه في القاموس

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٩، والشعيري: جامع الأخبار / ٩٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٤ و ٢٣ / ٢٢٥، والصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣ / ٣٦٣.

السياسي بمرحلة العمل السري، وما اصطلح عليه في دراسات السيرة والتاريخ الإسلامي بمرحلة الدعوة السرية، وهذا النوع من الظروف لم يكن مختصاً ببدايات الدعوة، وإنما هو يتكرر كلما مرّ الإسلام بمآزق سياسية وكلما عادت حالة الجاهلية لتحكم الواقع من جديد. والإنصاف أن عصرنا هذا - بالذات - يشهد حالة لا تقل عن بداية الدعوة الإسلامية، خطراً وصعوبة، وفي كثير من البلاد الإسلامية فضلاً عن غير الإسلامية، فعندما يكون هناك تشكيلات إسلامية منظمة تعمل في ظل نظام جائر أو نظام كافر، لا شك أن ضمان موفقيتها لتحقيق الأهداف التي تعمل من أجلها، يتوقف على السرية والكتمان، وقد يتوقف أحياناً على التظاهر بالولاء للنظام والدخول في أجهزته، ولا يمكن لأي حركة سياسية ولا عسكرية أن تحقق نجاحاً إذا بنت عملها على أساس الإذاعة والإعلان عن كل أهدافها وتحركاتها ونواياها.

نعم.. شرعية العمل بالتقية في مثل هذه الحالات لا تنفك عن شرعية أصل التحرك وشرعية تلك التشكيلات وأهدافها، وهذا مفروغ عنه. التقية في واقعها أسلوب عمل، وفن قائم بذاته، فتارة يكون لأغراض شخصية كصون النفس والمال، وهذا يشترط فيه أولاً عدم الإضرار بالقضايا العامة الكبرى، والذي عبرت عنه الرواية بالفساد في الدين. وأخرى يكون لأهداف دينية وسياسية فيدخل حينئذ ضمن الخطط التي ترسمها القيادة، ويؤمر بالالتزام بها الأفراد من أجل حفظ المسيرة المعينة أو ضمان نجاحها في تحقيق أهدافها.

٤٢.....التقية عند أهل البيت(ع)

وفي المراحل السياسية العصبية التي تمر بها عادة الحركات والتنظيمات يكون حفظ الأفراد وصيانتهم وإنقاذهم من مخالب الفتك ومن ثم حفظ حالة التماسك والارتباط معهم من الأهداف المهمة التي يخطط لها، وذلك لإبقاء أرضية العمل بانتظار الظرف المؤاتي والملائم. والدراسة الواعية للتقية التي اشتهرت عند أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، والتي كانوا يمارسونها ويأمرون شيعتهم بالتقيد بها لا تخرج عن هذا النطاق.

لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقية:

يسعى العديد من الكتاب لتصوير التقية بنحو يدعو إلى الاشمئزاز والنفور من التشيع الذي يبيحها ويقرّها. فهم تارة يعتبرونها نوعاً من النفاق والخداع، وأنها حالة سلبية التصقت بتاريخ شيعة أهل البيت(عليهم السلام)، وهذا ينطوي على مغالطة عجيبة، من جهة التلاعب بمفهوم النفاق وتطبيقه على التقية، ومن جهة غض النظر والإعراض عن الظروف السياسية والدواعي التي ألجأت الشيعة بالخصوص إلى هذا الأسلوب من العمل وهذا النمط من العيش القاسي.

والذي أوقع هؤلاء في هذا الخطأ أحد أمور:

١ - الانطلاق من حالة التعصب والعداء الموروث لشبيعة أهل البيت(عليهم السلام)، الأمر الذي جعلهم ينظرون بعين السخط ولا يرون إلا

لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقية ٤٣

الجوانب السلبية ولا يعدّون إلاّ العثرات والعيوب - طبعاً بحسب نظرهم
وزعمهم -.

فالمؤسف أن البعض يفكر بمنطق الجزار تجاه الخروف، الذي يرى
أن الخروف عليه أن يستسلم لسكينه، وأن لا يبدي أي حراك ليتمكن
من أداء وظيفته الإنسانية!!

هذا الفريق ممن يفكر بهذا الشكل لا يرضيهم إلاّ أن تقدم رقاب
الشيعة إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم، ويزعمهم أن يتمكن أحدٌ
منهم بحسن التصرف من انقاذ نفسه من قيودهم.

هذا المنطق هو الذي تخاطب الصهيونية ودول الاستعمار به شعوب
العالم الثالث، نحن نشاهد كل يوم في عدد من نقاط التوتر كيف يحتج
المعتدي والمحتل بشدة على المقاومة التي تواجهه وعلى طلاب التحرر
وأصوات الاستقلال، وهؤلاء في منطق المعتدين إرهابيون قتلة،
وحشيون لا يعرفون من الحضارة شيئاً فيجب القضاء عليهم.

في نظر أصحاب هذا المنطق لا يحق للشعوب المستضعفة أن تطالب
بحريتها ولا أن تمدّ يدها إلى السلاح، اللهم إلاّ إذا أراد أولئك الأسياد
استخدامهم في تحقيق مآربهم الخبيثة، وليس أمامهم إلاّ التسريح بحمد
المحتل الغاصب والمعتدي الغاشم.

٢ - الوقوع تحت تأثير الإعلام الموجه للأجهزة الحاكمة في العصور
التي تلت استيلاء الأمويين على الخلافة الإسلامية، وقراءة الأحداث
السياسية التي كتبت بأقلام مرتزقة تلك الأجهزة وفي قصورها. ولاشك

أن الجهاز الحاكم في كل زمان - وخاصة إذا كان مطلق العنان - يصور كل شي بالطريقة التي توافق أهواءه وتخدم سلطانه. ٣ - حالة التقليد التي كثيراً ما يبتلى بها أصحاب الأقلام، فيتابعون من سبقهم دون أن يتعبوا أنفسهم بالبحث والتحليل. ولا تعجب إذا ذكرت لك أن كبار كتاب عصرنا يعانون من هذا الداء. أحمد أمين، الكاتب المصري المعروف، التقى بالمجدد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكان قد كتب «فجر الإسلام»، فعاتبه كاشف الغطاء على تجنيه على التشيع في كتابه واتهامهم بما لا واقع له، فلم يكن اعتذاره إلا أنه لم يكن يملك مصادر شيعية حين كتب ذلك. وهذا العذر أقبح من الذنب - كما ترى -، والنتيجة أنه كان مقلداً في كتاباته لمن سبقه من أصحاب هذا المنحى. بعض المفكرين الإسلاميين الكبار زاره وفد من علماء الشيعة فاستقبلهم في مكتبته العامرة، وأعجب أحدهم أن يسأل هذا المفكر عن كتب الشيعة التي تضمها مكتبته، فكان الجواب: المختصر النافع في فقه الإمامية فقط. وأمثال هؤلاء كثير وكثير. ٤ - العامل الأخير الذي لأحب ذكره هو «الارتزاق»، فإن البعض يوظف قلمه لرواد التفرقة ومثيري الفتن، سعياً وراء بعض المغريات المادية التي يقدمونها، والأقلام أحياناً أمضى من السيوف، وأحد من النصول، وأشد فتكاً من الذئب إذا شد بالغنم. هذه الأمور مجتمعة أو البعض منها هي التي تدفع البعض للمضي في إثارة الفتن وتشويه صورة الواقع، وتشارك في تعقيد المشكلة وتكريس الفرقة بدلاً من لمّ الشمل ورتق الفتق، وبدلاً من الدراسة

لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقية ٤٥

المنصفة والمجردة للواقع التاريخي المؤلم الذي عشنا - وما نزال نعيش - فيه. يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): لم تلق فرقة ولا بلي أهل مذهب بما بليت به الشيعة، حتى إننا لا نكاد نعرف زماناً تقدم سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقيّة، ولا حالاً عريت فيه من قصد السلطان وعصبيته وميله وانحرافه^(١). لقد كان سلاطين الجور والظلم وولاتهم وادواتهم يسومون الشيعة سوء العذاب، عملت فيهم سيوفهم تقيلاً، وتعبد جلاذوهم، وملّتهم ظلمات السجون، دمهم مهدور، ومالهم حلال، وحرماهم مهتوكة. لقد كانوا يقتلون على الظن والتهمة تحت كل حجر ومدروفي كل عصر، كان أهل الأطماع يتقربون إلى سلاطين زمانهم بما يبيح لهم أن يرتكبوا ما يرتكبون، هذا ما دفع الشيعة لاتخاذ التقية وقاءاً مخافة الاستئصال، وجرياً على قاعدة العقلاء في مثل هذه الابتلاءات، ولعمري إن عملهم ذاك كان دليلاً على رجحان عقلهم وقوة حكمتهم وفقههم.

١ - في عصر بني أمية

روي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهروا علينا، وما لقي شيعةنا ومحبوها من الناس.. (الى أن قال) ثم لم نزل - أهل البيت - نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دماننا

(١) الطوسي: تلخيص الشافي ٢ / ٥٩.

٤٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله، لبيغضونا إلى الناس، وكان عظيم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن(عليه السلام)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله، أو هُدمت داره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد، إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين(عليه السلام)، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي^(١)..لقد فاقت معاناة الشيعة من ظلم بني أمية كل حد، ولم تكد تستقر لهم القيادة بعد صلح الإمام الحسن(عليه السلام)، حتى بدأوا بحرب الإبادة ضد العلويين والشيعة في شرق البلاد وغربها.يقول ابن أبي الحديد: روى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة الى جميع عماله بعد عام الجماعة^(٢)، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته. فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٣ - ٤٤ وقريب منه عن أبان في كتاب سليم بن قيس / ٦٦ - ٦٨، المجلسي: بजार الأنوار ٢٧ / ٢١١ و ٤٤ / ٦٨.
(٢) عام الجماعة: أطلق بنو أمية هذا الاسم على السنة التي بايع الناس فيها معاوية بعد الصلح.

لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقية ٤٧

أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي (عليه السلام)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم^(١). وكان من ضحايا الجور الأموي أيام معاوية حجر بن عدي الكندي وأصحابه، شهداء مرج عذراء في الشام، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبدالرحمن بن حسان العنزلي الذي دفنه زياد حياً، وميثم التمار، ورشيد الهجري وعبدالله بن يقطر الذين شتقوا في كناسة الكوفة. وبعد أن قضى معاوية خلف يزيد فأبدع أكثر من أبيه في قتل الشيعة وأهل البيت (عليهم السلام) فكانت وقعة الطف وما سبقها وما لحقها من أحداث، ووقعة الحرة واستباحة المدينة، وحاله غني عن الوصف، ومع هذا يصير حشوية العصر على تسميته بأمر المؤمنين والدفاع عنه. ثم تفاقم الأمر بعد ذلك، وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولي الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه.. حتى أن انساناً وقف للحجاج، فصاح به: أيها الأمير، إن أهلي عقّوني فسمّوني علياً^(٢).. هذه صفحة صغيرة ونبذة يسيرة من ظلم بني أمية للشيعة، وقد شحنت كتب التاريخ

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٤.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١١ / ٤٦.

٤٨.....التقية عند أهل البيت(ع)

بالكثير من أمثال ذلك، وبإمكان الإنسان من خلال هذا وذاك أن يتصور حالة الشيعة الموالين لأئمة أهل البيت(عليهم السلام)، الذين حكم عليهم أن يتحملوا الفقر والمسكنة والتشريد والقتل والتعذيب، أو يكتموا عقيدتهم في الإمامة وولايتهم لأهل البيت ويتظاهروا بالرضا والقبول بالأمر الواقع، فماذا يحكم العقلاء!؟

٢ - في عصر بني العباس

ولم يختلف الحال مع دولة بني العباس بل تابع حكامهم سنة من سبقهم في مطاردة الشيعة واقتفوا أثرهم، في القتل والتنكيل بهم، بل كانت المحنة أعظم والبلاء أشد في ظل بني العباس ولقد اعترف أبو جعفر المنصور في بعض كلامه فقال: قتل من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيدهم ومولاهم وإمامهم جعفر بن محمد^(١).. ولقد كان هذا القول منه في حياة الإمام الصادق(عليه السلام)، أي في صدر خلافته فكيف بمن قتلهم بعد ذلك^(٢)!! وتركه للإمام الصادق(عليه السلام) لم يكن عن حبّ له ووفاء لابن عمه ولرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد عزم عدة مرات على قتله لكنه في كل مرة كان ينصرف في اللحظات الأخيرة، خوفاً من الآثار السياسية التي يمكن أن يتركها ذلك على استقرار سلطانه، وكان يدرك آثار قتل الإمام الحسين(عليه السلام)

(١) عبد الله نعمة: الأدب في ظل التشيع / ٦٣ نقلاً عن شرح القصيدة الشافية لأبي فراس /

(٢) السيد جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا / ٨٧.

لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقية ٤٩

على ملك الأمويين من قبل. وقال للإمام الصادق (عليه السلام) مرة : لأقتلنك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سوط^(١).. وكان من فظيخ جرائمه أن ترك خزانة مملوءة من رؤوس العلويين ميراثاً لولده المهدي، وقد علّق في آذانهم أوراقاً يستدل بها على صاحب كل رأس. ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال^(٢). وبعضهم كان يدفن حياً، وبعضهم يوضع في أسطوانات ويسمر في الحيطان حتى يموت صبراً^(٣). ومن جرائمهم أيضاً أنهم كانوا يتركون ضحاياهم أحياناً بلا دفن حتّى تبلى أجسادهم وهم في قعر السجن. وهكذا كلما رحل طاغية خلفه طاغية، فلم يستقر للشيعة بال ولم يهنأ لهم عيش^(٤). يصف أحمد أمين حال الشيعة وأئمتهم تحت ظل بني العباس، فينقل رسالة لأبي بكر الخوارزمي في هذا الشأن، يقول: .. هذا ما فعله العباسيون مع أئمة الطالبين، ولم يكن تنكيلهم بمن تشيع من عامة الناس بأقل من ذلك، فأبومسلم الخراساني سلّط أعوانه على آل أبي طالب «يقتلهم تحت كل حجر ومدبر ويطلبهم في كل سهل وجبل»، وملئت سجون المنصور

-
- (١) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ٣ / ٣٥٧، والمجلسي : بحار الأنوار ٤٧ / ١٧٨.
(٢) المقرئزي: النزاع والتخاصم بين أمية وبني هاشم / ١٠٣، وراجع: السيد جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا / ٨٧.
(٣) أبو الفرج الأصبهاني : مقاتل الطالبين / ٢٠٠، وتاريخ الطبري ٧ / ٥٤٦.
(٤) راجع: السيد جعفر مرتضى : الحياة السياسية للإمام الرضا / ٨٦ - ١٠٦، وعبدالله نعمة : الأدب في ظل التشيع / ٦١ - ٧٢، ومحمد حسين الزين : الشيعة في التاريخ / ١٥٨ - ١٦٦ وأبا الفرج الأصبهاني : مقاتل الطالبين / ١٧١ وما بعدها.

والرشيد بالعلويين ومن تشيع لهم، ويموت إمام من أئمة الهدى فلا تشيع جنازته، ولا تجصص مقبرته، ويموت (ماجن للعباسيين) أو لاعب أو مسخرة أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عند القواد والولاة، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوسفطائياً، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً أو مانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً.. ويتكلم بعض شعراء الشيعة في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي، فيقطع لسانه ويمزق ديوانه، كما فعل بعبدالله بن عمارة البرقي^(١)، وكما نبش قبر منصور النمري^(٢)، حتى إن هارون والمتوكل كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبدالمملك بن قريب الاصمعي..ثم قال: يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملاؤن ديار الترك والديلم فضة وذهباً، يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجري والأنصاري، ويولون أنباط السود وزارتهم، وقلق العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم وفيء جدتهم، يشتهي

(١) عبدالله بن عمارة البرقي: شاعر عاصر الرشيد ومن بعده المتوكل، مدح الأئمة الأطهار، فوشى به إلى المتوكل وقرئت عليه قصيدة له فأمر بقطع لسانه واحراق ديوانه فمات بعد أيام اثر ذلك، راجع: الأمين: أعيان الشيعة ٨ / ٦٣.

(٢) منصور النمري: شاعر عباسي حصل بينه وبين العتابي عداً فوشى به عند المنصور أنه يمدح العلويين فغضب عليه وبعث في طلبه فوجده متوفياً فامر بنبشه ليحرق. راجع: الخطيب: تاريخ بغداد ٦٩/١٣.

العلوي الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن أبي مريم المدني، وإلى ابراهيم الموصللي، وابن جامع السهمي^(١)، وإلى زلز الضارب، وبرصوما الزامر، ويقطع بختيشوع النصراني قوت أهل بلد، وبغا التركي والأفشين الأشروسني كفاية أمة ذات عدد.. والقوم الذين أحل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمعجبة، يتكفون ضرراً، ويهلكون فقراً. إلى أن قال: ومثالب بني أمية على عظمها وكثرتها، ومع قبحها وشناعتها، صغيرة وقليلة في جانب مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي اموال المسلمين^(٢).. والرسالة طويلة نقلنا قطعة منها على طولها نظراً لاحتوائها من دقيق الوصف ما يفي بمطلوبنا. وخير شاهد على محنة الشيعة أن نصر بن علي الجهضمي المحدث الكبير، لما حدث بهذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحببني وأحب هذين [يعني الحسن والحسين] وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٣)، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، حتى كلمه في شأنه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه^(٤). قال الخطيب البغدادي: إنما أمر المتوكل بضربه لأنه ظنه

(١) هؤلاء الثلاثة كانوا من المغنين في دار الخلافة.

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٨ نقلاً عن رسائل أبي بكر الخوارزمي.

(٣) أخرجه القاضي في الشفاء ٢ / ٢٠، وابن حجر في تهذيب التهذيب / ترجمة نصر بن علي.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٨.

رافضياً، فلما علم أنه من أهل السنة تركه^(١). يا ليت جور بني مروان دام لناوليت عدل بني العباس في النار^(٢) هذه صفحات مظلمة من التاريخ الذي مرّ على آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة العصمة، ومواليهم وأتباعهم، ولقد أصبحت نتيجة لتقادم الزمان سنة مستمرة يلتزم بها، ويتأسى بها كل حكام الجور وسلاطين الدهر وولاتهم وأدواتهم. من يقرأ التاريخ بدقّة وتمعّن يجد أن الظروف التي أحاطت بالتشيع لأهل البيت (عليهم السلام) عبر القرون كان من شأنها أن تمحو أثره وتأتي عليه، لولا العناية الإلهية وصبر الشيعة وحكمة أئمتهم الذين زرعوها في قلوب أتباعهم ومحبيهم عقيدة راسخة لا تزول. من يقرأ هذه المحن والمآسي يدرك السر الذي جعل الشيعة دون غيرهم يشتهرون بالتقية رغم أنها من المسائل غير المختصة بهم - كما تبين معنا - ، ويدرك السر الذي يكمن وراء هذا التأكيد والتشديد على الالتزام بالكتمان والتقية، فقد كانت الوسيلة الوحيدة لحقن الدماء والتخلص من هذا الواقع المؤلم. ولقد أثبت التاريخ في قضية خلق القرآن التي امتحن بها علماء أهل السنة أن الكل يلجأ إلى التقية إذا أعيته الحيلة وصعبت عليه طرق الخلاص.

(١) المصدر السابق.

(٢) قائله ابو عطاء السندي، انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء / ٤٨٤.

محنة خلق القرآن

من المسائل التي احتدم الجدل حولها في القرن الثاني الهجري مسألة خلق القرآن، وقد كان جمهور أهل السنة يقولون بأن القرآن غير مخلوق، إلى أن جاء المأمون العباسي وأراد إجبار أهل العلم على القول بخلق القرآن ووقع في سبيل ذلك من الحوادث المؤلمة ما يصوره لنا السيوطي فيقول: «وفي سنة ثمان عشرة [يعني بعد المئتين] امتحن الناس بالقول بخلق القرآن، فكتب [يعني المأمون] إلى نائبه على بغداد اسحاق بن ابراهيم الخزاعي.. في امتحان العلماء كتاباً يقول فيه: .. فاجمع من بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا، وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عما يعتقدون في خلقه وإحداثه، وأعلمهم أنني غير مستعين في عملي ولا أثق بمن لا يوثق بدينه، فإذا أقرؤا بذلك ووافقوا، فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق، واكتب إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك. وكتب المأمون إليه أيضاً في إشخاص سبعة أنفس، وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن ابراهيم الدورقي، فأشخصوا إليه، فامتحنهم بخلق القرآن، فأجابوه، فردّهم من الرقة إلى بغداد، وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولاً، ثم أجابوه تقيّة. وكتب إلى اسحاق بن ابراهيم أن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث

ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة، ففعل ذلك، فأجابه طائفة وامتنع آخرون، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون: أجبنا خوفاً من السيف. ثم كتب المأمون بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة منهم أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزيادي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيدالله بن عمر القواريري، وعلي بن الجعد، وسجادة، والذيال بن الهيثم، وقتيبة بن سعد، وسعدويه الواسطي، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرس [الهرش]، وابن عليّة الأكبر، ومحمد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبدالرحمن العمري، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وغيرهم، وعرض عليهم كتاب المأمون، فعرضوا وورّوا، ولم يجيبوه ولم ينكروا.. ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول؟ قال: كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، لا أزيد على هذا^(١). ثم امتحن الباقيين وكتب بجواباتهم. وقال ابن البكاء الأكبر: أقول: القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلك، فقال له اسحاق: والمجعول مخلوق؟ قال: نعم، قال: فالقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول: مخلوق. ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون، فورد عليه كتاب المأمون:.. فأما بشر فقد كذب.. فإن تاب فأشهر أمره، وإن أصر على شركه ودفّع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده

(١) إلا أن أحمد بن حنبل بعد ذلك في عصر المتوكل قال بتكفير من زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق وقال: إنه أخبث من القائل بخلق القرآن، فدلّ على أن قوله هنا كان تقية أيضاً، راجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية للسيد مهدي الروحاني / ١٨٣، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ / ٢٩.

فاضرب عنقه. .. (الى ان قال): ومن لم يرجع عن شركه - ممن سميت بعد بشر وابن المهدي - فاحملهم موثقين الى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم، فإن لم يرجعوا فاحملهم على السيف، قال: أجابوا كلهم عند ذلك، إلا أحمد بن حنبل، وسجادة، ومحمد بن نوح، والقواريري، فأمر بهم اسحاق فقيدوا، ثم سألهم في الغد وهم في القيود، فأجاب سجادة، ثم عاودهم ثالثاً فأجاب القواري، ووجه أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إلى الروم. ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا مكرهين فغضب وأمر بإحضارهم إليه، فحملوا إليه، فبلغهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه، ولطف الله بهم وفرّج عنهم^(١). ولقد انعكست هذه المحنة على توثيقات أهل الجرح والتعديل، وطعن في بعض من استجاب، وبرر بعضهم لهم ذلك وعذرهم لكونهم كانوا في حال التقية. فعلى سبيل المثال كان ابن المديني (من شيوخ البخاري) يقول: خفت أن أقتل، ولو ضربت سوطاً واحداً لمتّ. ولم يطعن في وثاقته بسبب قوله بخلق القرآن في تلك الظروف؛ رغم أنه تجاوز ذلك إلى الترام مجلس القاضي أبي داود المعتزلي واقتدائه به في الصلاة^(٢). ولما طعن الخطيب في اسماعيل بن حماد بسبب مقالته في القرآن، قال السبّط: إنما قاله تقية كغيره^(٣). ولقد دافع ابن كثير عن الذين أجابوا بخلق القرآن بأن اجابتهم

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء / ٣٠٨ - ٣١٠، وتاريخ الطبري / ٨ / ٦٣١ - ٦٤٥، وابن كثير:

البداية والنهاية / ١٠ / ٢٧٢ - ٢٧٤، وابن الاثير: الكامل في التاريخ / ٦ / ٤٢٣ - ٤٢٧.

(٢) انظر: ابن حجر: لسان الميزان / ١ / ٣٩٩ - ٤٠٠ الهامش.

(٣) ابن حجر: لسان الميزان / ١ / ٣٩٩.

كانت مصانعة اكرهاً، لأنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه، وإن كان له رزق على بيت المال قطع، وإن كان مفتياً منع من الإفتاء، وإن كان شيخ حديث ردع عن الإسماع والأداء^(١). واستمرت هذه المحنة في عصر الواصل العباسي بشكل أشد مما كانت على عهد المأمون، وسجن من أجلها أناس وجلد آخرون حتى تولى الأمر المتوكل. وكان يؤيد مقولة القائلين بعدم الخلق. فكان في ذلك فرج من امتحن من قبل. ولم يكن المأمون أول من لجأ إلى القتل والسجن في هذه القضية، بل سبقه هارون الرشيد الذي كان على العكس يتعصب ضد القائلين بالخلق. فيحكى عنه أنه قال: بلغني أن بشراً المريسي يزعم بأن القرآن مخلوق، لله عليّ إن أظفرتني به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحداً قط، ولما علم بشر بذلك ظل متوارياً أيام الرشيد^(٢). وقال بعضهم: دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتلته لأنه قال: القرآن مخلوق^(٣). وكان الجعد بن درهم أول القائلين بمقالة خلق القرآن، وقد قتل من أجلها على يد خالد بن عبد الله القسري في أيام حكومته على العراق من قبل بني أمية^(٤). ولقد كان يكفر كل فريق الآخر بسبب هذه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢٧٣.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد ٧ / ٦٤، وأسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة ٤ / ٤٥١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢١٥، وأسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة ٤ /

٤٥١.

(٤) انظر: الزركلي: الأعلام ٢ / ١٢٠ ترجمة الجعد بن درهم.

المقالة، وظهر بسبب ذلك خوف كبير واضطر عدد كبير من المحدثين والفقهاء للتستر وكتمان الرأي، مع أنها قضية لا تمت إلى السياسة بصله، ولا تثير مخاوف الحكام والسلاطين، فكيف يكون حالهم لو ابتلوا بمسألة عقائدية تخالف أهواءهم ومصالحهم السياسية، وكيف نرى حالهم لو قدر الله واستمرت المحنة زمناً طويلاً كما هو حال الشيعة في عقيدة الإمامة.

دور التقية في حفظ الدين:

يظهر في الوهلة الأولى من خلال ملاحظة النصوص الدالة على شرعية التقية، أنّ الغاية منها حفظ النفس وحقن الدماء، ولا شك أنّ التقية تؤدي هذا الدور وتفي بهذا الهدف، وهو في نظر الشارع على درجة من الأهمية، إن لم يكن هناك ما هو أهم، ولأجل هذا حرم الله قتل النفس والتعرض للمهلكات دون غرض صحيح اهم عند الشارع. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١). ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٢). كما أنّ انقاذ النفس إذا تعرضت للخطر واجب، ولو توقف ذلك على ارتكاب بعض المحرمات وجب، كما في صورة الإشراف على الهلاك بسبب الجوع الذي يبيح أكل الميتة، بل يجب على ما يظهر مما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: من ترك أكل الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار ومات فله النار خالدًا مخلدًا^(٣). فالتقية لحفظ النفس بحسب الحكم الأولي يفترض أن تكون واجبة، وإذا كان هناك من النصوص ما يشير إلى كونها رخصة، فلعله من جهة كون المورد يتضمن فائدة ترجع على الدين بإصراره على اظهار الحق وعدم ممارسة التقية، لكنها ليست فائدة عظيمة في قبال فائدة حفظ النفس فكان المناسب الترخيص. هذا هو الدور الظاهر الذي تقوم به التقية، لكنها قد تقوم بدور أهم واكبر وهو حفظ الدين،

(١) سورة البقرة / الآية ١٩٥.

(٢) سورة النساء / الآية ٢٩.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ٦٢ / ٢٩٣.

وصيانة المجتمع الإسلامي. هذه النقطة بالذات تستحق الوقوف والبحث. فإن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يهدفون من وراء ممارسة التقية وتربية أصحابهم وأتباعهم عليها إلى ما هو أبعد من حقن دمائهم، وإن كان هذا أيضاً يقع في مقدمة اهتماماتهم ومورد اعتنائهم. لقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وباعتبار أنهم يشكلون امتداداً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، يحملون الهموم والقضايا التي كان يحملها نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويفكرون بالأمة كلها وبالشريعة بكل تفاصيلها وجزئياتها وبحاضرها ومستقبلها. أمير المؤمنين سلام الله عليه الذي نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إماماً للأمة من بعده، وبايعه المسلمون بمرأى ومسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجد نفسه بعد تجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنه وحيداً، يقول في كتاب له إلى أهل مصر: فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، وكما يتقشع السحاب. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه^(١). فأمر المؤمنين (عليه السلام) الذي يرى نفسه صاحب هذا الحق، والذي حمل فاطمة والحسين (عليهم السلام) ودار على المهاجرين والأنصار يقيم عليهم الحجة ويستنهضهم لنصرته، والذي امتنع عن البيعة وبقي جليس بيته،

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ الكتاب ٦٢، وقريب من هذا أورده ابن أبي الحديد ٦ / ٩٤.

٦٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

لما وجد أن الدين في خطر كنتم جراحه وأقبل ليقف مع منافسيه لأجل غاية أهم وأسمى. هذا بعض أنحاء تقية أمير المؤمنين(عليه السلام).

وفي مرحلة سياسية أخرى يقول:

فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا...^(١).

وعندما ائثال عليه الناس يبايعونه بعد مقتل عثمان بن عفان، قام(عليه السلام)بالأمر وأراد أن يغيّر ما كان يراه مخالفاً للسنة التي هو أعلم الناس بها، فلم يجد آذاناً صاغية، ونهاهم عن الجماعة في النافلة فيما يدعى بصلاة التراويح فصاح الناس: واعمره^(٢)، واتّهموه بتغيير سنته فأعرض عنهم.

وهكذا في مسائل أخرى، حتى كانت مسألة التحكيم، وأصر البعض في عسكره على الاحتكام إلى القرآن، ولم يسمعوا تحذيره من الانخداع بهذه المقولة، واراد اختيار ابن عباس للحكومة، فأصروا على أبي موسى الأشعري، فقبل بذلك احترازاً من الفتنة وحذراً من تفرقهم عنه، وكان ما كان.

لقد كان للتقية وجود في حياة أمير المؤمنين(عليه السلام) السياسيّة. صحيح أنه لم يكن يخاف على نفسه، بل لم يكن الوضع آنذاك قد بلغ

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة / الخطبة ٣.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢٨٣، والمجلسي: بحار الأنوار ٩٦ / ٣٨٤.

حداً يتطلب أن يتقي (عليه السلام) على نفسه، لكن الإسلام كان في خطر، حالة الارتداد عن الدين وهو جديد غض، وحالة الانحراف التي لا يدري إلى أين ستصل كانت تستدعي منه السكوت عن حقوقه الشخصية، وغض النظر عن العديد من الظلامات لأجل حفظ الوحدة في المجتمع الإسلامي، هذه الوحدة التي كانت أكثر من ضرورة، فالمجتمع الإسلامي آنذاك كان محاطاً بالأعداء، وأي نزاع في الداخل وأي انقسام في مراكز القوة سوف يذهب بالهبة والشكيمة ويثير شهوة الأعداء للانقضاض على هذا الدين، بل حتى في داخل المجتمع الإسلامي، كان الكثير من القبائل التي دخلت في الإسلام في السنوات الأخيرة من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) في معرض الارتداد والخروج من الدين، فيما لو حصل نزاع دموي على الحكم. كل هذا دفع أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ممارسة التقية والسكوت عن حقه تارة، وعن بعض المخالفات التي اعتاد الناس عليها أخرى، وليس ذلك سكوتاً عن الحق بمقدار ما هو افتداء للدين ببعضه، افتداء للأهم بالمهم.

وهكذا كان الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) أيام معاوية، حتى كانت خلافة يزيد فوجد أن الفساد الحاصل لا يعالج إلا بالخروج، فخرج وضحي بأعز ما عنده من أهل وأولاد وصحب وأتباع، لتكون كلمة الله هي العليا.

وقد كان أئمة أهل البيت بعد ذلك لا يجدون الفرصة لنشر علوم الرسالة التي يحملون، والتي استأمنهم عليها الرسول الأكرم (صلى الله عليه

٦٢.....التقية عند أهل البيت(ع)

وآله وسلم)، حتى بدأت دولة بني أمية بالتضعف، وانشغل بنو العباس بترتيب حركتهم السياسية لبناء دولتهم، في هذه الأثناء كانت الفرصة مؤاتية لنشر معارف الدين ومحاربة البدع، وهذه الأمور من أهم وظائف الإمامة، ولأجل تحقيق هذا الهدف على أفضل وجه ممكن، قام الإمام الباقر ومن بعده الصادق(عليهما السلام) بصرف جهودهما لهذه المهمة، ولما كان شرط النجاح فيها الابتعاد عن الساحة السياسية فقد لجأوا إلى التظاهر بعدم الرغبة في طلب السلطة، وطلبوا من شيعتهم كتمان أمرهم وحدثهم المتعلق بالإمامة وما يترتب على ذلك، خاصة أنهم كانوا يرون أن الظروف السياسية لن تكون في خدمتهم لو أرادوا خوض معركة الوصول إلى الحكم.

فالتقية كان لها الدور الفعال في تمكين الإمام الباقر وبعده الإمام الصادق(عليهما السلام) من نشر التشيع بهذا الشكل الواسع، وتأسيس فقه قائم على السنة الشريفة والكتاب الكريم، لا على القياس والاستحسان. وهذا لا ينكره إلا مكابر.

الدور الجهادي للشيعة:

البعض - نتيجة للنظر القاصر - يعتبر التقية من الأساليب التي تدعو إلى الركون والتخاذل والخنوع، وأنها أبعد ما تكون عن منهج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وابنه الناصر الإمام الحسين (عليه السلام). هذا الرأي وهذا التوهم ناشئان من الابتعاد عن ساحة العمل والجهاد، فليس هناك في الحقيقة أي تناف بين التقية - بمعناها الصحيح - وبين عالم الثورة والجهاد. بل ربما يقال: إن بينهما تمام الانسجام والتآلف.

لذا نحن نجد أن الشيعة الذين اشتهر عنهم العمل بالتقية - حتى عدّها البعض من شعاراتهم - نجدهم يمتلكون تاريخاً مليئاً بالجهاد والتضحية والفداء، حتى عصرنا الحاضر. وهذه الثورة المباركة وحدها تشكل أكبر دليل على ذلك.

الجهاد ليس معناه الحرب دائماً، وليس هو مجرد القتال. وإنما هو القتال من أجل الدين وفي سبيل الله، والهدف الذي يضعه المجاهد نصب عينيه هو اعلاء كلمة الدين، وترسيخ قواعده، ورفع لوائه، وتحقيق حاكميته، وهذا يتطلب عملاً مدروساً على كل جبهة وفي أكثر من موقع ومجال.

ومن هذا القبيل «الشجاعة»، فالبعض يتصور أن الشجاعة معناها القتل والضرب وتجريد السيف دائماً، فنتيجة لذلك يقول: لا يعقل أن يؤخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) - وهو أشجع الناس - مقيداً بحبال سيفه ويقاد

٦٤.....التقية عند أهل البيت(ع)

إلى المسجد وهو على هذه الصورة، ولا يعقل أن يسكت أمير المؤمنين(عليه السلام) على الاعتداء على السيدة الزهراء بمرأى منه ومسمع.

هؤلاء يقيسون شجاعة علي(عليه السلام) على شجعانهم، فهم يتخيلونه مثل بطل سينمائي أو شبه عنترة العبيسي، وغفلوا عن أن شجاعة علي(عليه السلام) مستمدة من عمق إيمانه ومنتهى يقينه، وأنه الأقوى والأقدر على إظهار شجاعته عندما يقف في مواجهة الأعداء، وأنه الأقوى والأقدر على كتم غضبه وضبط قواه عندما يكون الموقف الشرعي يتطلب ذلك، فالمحور دائماً طاعة الله، ورضى الله، وسبيل الله.

(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)^(١) و (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)^(٢).

يرتعد من سطوته الأعداء، ويغشى عليه من خوف الله، ويرتعد عندما يقف بين يديه. فالذي يحكّم الدين في كل حركاته وسكناته ليس غريباً منه أن يتواضع حتى الذلّ إذا كان الموقف الشرعي يقتضي ذلك، ويصبر على المصائب والنوازل إذا كانت مصلحة الدين تتطلب ذلك. وقد سبق أن اشرنا إلى أن التقية تخضع لقاعدة التراحم بين الأحكام، وبين المصالح والمفاسد، وأن التقية تحرم إذا بلغت الدم، وإذا أدت إلى

(١) سورة الفتح / ٢٩.

(٢) سورة المائدة / ٥٤.

الفساد في الدين، فهي إنما شرعت لتحقيق أغراض الشارع المقدس إذا حافظ المكلف على حدودها.

نعم ربما يتخذ البعض من التقية غطاءً لتبرير تخاذلهم والجلوس في بيوتهم؛ حيث يريد منهم الدين الخروج، فهؤلاء يشكلون حالة شاذة في المجتمع، ولا نقيم إيجابيات الحكم الشرعي من خلالهم، فإذا استخدم شخص ما الحجاب الشرعي غطاءً لتحرير انحرافاته، فلبس العباءة مثلاً ليتسلل إلى مآربه الخبيثة، فهل يعني هذا أن على النساء أن يتركن لبس العباءة حتى تفوت الفرصة على هؤلاء؟ وكذلك التقية، فإن إساءة الاستفادة منها لا يعني أبداً حرمتها وأنها تدعو إلى التخاذل والخنوع، فإن هؤلاء كانوا في كل عصر حتى في صدر الإسلام ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بِيوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(١).

وهؤلاء قد يتخذون من بعض الروايات ذريعة لممارساتهم، دون أن يدركوا المراد منها، ونحن إذا نظرنا إلى أخبار التقية بمجموعها ندرك أن مثل هذه الأخبار إما وردت في موارد خاصة، وهي تعليمات أخذت بنظر الاعتبار الظرف الخارجي المعاصر للنص، أو أنها لها تأويلات لا بد منها، نستفيدها من بقية الأخبار.

ونحن سنتعرض لتلك الروايات ومعالجتها في فصل مستقل. المهم أن الواقع الخارجي يثبت أن التقية لا تعني أبداً ترك الجهاد، ولا تعني التخاذل، ولكن الجهاد المطلوب شرعاً، والمثمر الموصل إلى

(١) سورة الأحزاب / ١٣.

٦٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

الأهداف المنشودة، يحتاج إلى توفر شروط ومتطلبات وأدوات لا بد منها، فهل من المعقول أن يأمر المولى عزوجل شخصاً بالخروج إلى قتال العدو، وحده وبدون سلاح ولا ذخيرة؟! أي فائدة في مثل هذا الجهاد؟ والصحيح أن هذا ليس جهاداً.

في الفترة الأولى لنشوب الحرب بين العراق والجمهورية الإسلامية كانت تحصل أحياناً بعض الحالات من هذا النوع. بعض المؤمنين البسطاء يسيطر عليهم حب الشهادة ويشتاقون للحصول على منزلة الشهداء، فيخرجون إلى جبهات القتال دون سلاح وعلى غير هدى وربما تجاوز وهو يسير على الأقدام خطوط العدو، وإذا سأله شخص إلى أين أنت ذاهب؟ يقول: أريد الشهادة!! هذه في الحقيقة ليست شهادة إنها أشبه بالانتحار.

الجهاد هكذا يحتاج إلى تدريب وتخطيط وقيادة وعمل منظم وسلاح وعدة، يحتاج إلى دراسات عن ساحة العدو، وإمكاناته ومواقع القوة والضعف عنده، يحتاج أحياناً إلى حيلة وخدعة. الجهاد أحياناً يطلب من الإنسان الاختفاء والكتمان وإيهام العدو بالانصراف عن القتال. إلى ما هنالك من شروط وأسباب لا بد من توفرها.

أحياناً يتجاوز أحد أفراد الجيش التعليمات نتيجة للحماس، ويتعجل في اطلاق النار على العدو، فيؤدي ذلك إلى فشل الخطة المرسومة وانكسار الجيش.

أثمتنا سلام الله عليهم كلهم حسين، لكنهم يجردون السيف عندما يكون الموقف يتطلب ذلك، ويغمدونه عندما يتطلب ذلك. فلو كان

الحسين (عليه السلام) في ظروف الحسن (عليه السلام) لصالح معاوية، ولو كان الحسن (عليه السلام) في ظروف الحسين (عليه السلام) لثار في وجه يزيد، لا أريد الخوض في غمار البحث عن العوامل والأسباب التي دفعت الإمام الحسين (عليه السلام) بالذات إلى القيام بنهضته؛ فإنه بحث طويل يحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن أريد اجمالاً أن أقول: إن الإسلام كان يمر بظرف استثنائي. كان يعاني من حركة جاهلية كادت تودي به، وتعود بالأمة إلى ما قبل البعثة. وقد وجد الحسين (عليه السلام) أنه لا بد من الانتفاض لإيقاظ المسلمين وتنبيههم إلى هذا الواقع، وكان بقاء الحسين (عليه السلام) في المدينة أو في مكة يعني حتماً الاغتيال بأحد الوسائل التي يختارها الجهاز الحاكم، ومن ثم يتصدى الإعلام الرسمي لتضليل الأمة، ويضيع دمه (عليه السلام) هدرًا، دون أن يحقق في ذلك للإسلام أي ثمرة.

لقد كان دور التضليل الإعلامي كبيراً إلى حدٍّ أمكن من تحويل الضحايا المظلومين والمضطهدين إلى بغاة خارجين، وزنادقة ملحدين. ألم يقنع معاوية أهل الشام بأن علياً لا يصلي حتى فضحته شهادته في المحراب^(١)!

ألم يكن أهل الشام لا يعلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذوي قربي سوى بني أمية^(٢)!

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٣٣ / ٣٦.

(٢) المقرئزي: النزاع والتخاصم / ٦٨.

٦٨.....التقية عند أهل البيت(ع)

ألم يجعلوا من سب علي(عليه السلام) سنةً في الجمعات والجماعات، حتى أن عمر ابن عبد العزيز لما تركها قام إليه عمرو بن شعيب فقال: يا أمير المؤمنين، السنة السنّة!! يحرضه على السب^(١)؟!!

ألم يستشهد حجر بن عدي وأصحابه بمرج عذراء؛ لأنهم عدوا من المخالفين للسنة وللجماعة في ترك سب أبي تراب فاستحقوا القتل^(٢)؟! ألم يجعل من يوم قتل ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عيداً يحتفل به بنو أمية^(٣)؟!!

ألم يعمل الإعلام الرسمي لتضليل الناس عند ورود سبايا آل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشام، وإيهاهم بأنهم سبايا الروم والديلم^(٤)؟!!

في مثل هذه الظروف، لم يكن أمام الحسين(عليه السلام) إلا الخروج الذي حقق النتائج التالية:

١ - وفر الجو الإعلامي المطلوب لنهضته عن طريقين:

الأول: انتشار خبر خروجه في الأمصار الذي يعني عدم الرضا بالوضع القائم، وعدم الإقرار بشرعية يزيد.

(١) محمد رضا الجاللي: تدوين السنة النبوية / ٢٢٥ - ٢٢٦ عن الأمالي الخميسية ١ / ١٥٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٣٠.

(٣) السيد جعفر مرتضى: المواسم والمراسم ٨٢ - ٨٥.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٧.

الثاني: انتشار تفاصيل النهضة المباركة عن طريق الحشد الكبير الذي ضمه جيش عبيدالله بن زياد، فقد ضم أكثر من ثلاثين ألفاً، كان من بينهم المحدثون والمؤرخون والرواة فضلاً عن عامة المقاتلين. هذا الأمر ضمن نقل التفاصيل من دون تحريف، أضف إلى أن المساوية التي اتصفت بها الواقعة أعطت القضية جانباً عاطفياً مثيراً يدفع الناس إلى تناقل أخبارها بسرعة.

٢ - بلغ المسلمين جميعاً ضوابط وخصائص الخلافة الشرعية، وعدم توفرها في يزيد.

٣ - بعث الضمائر الميتة وأيقضها من غفوتها فكانت مقدمة لسلسلة انتفاضات.

٤ - كسر حاجز الخوف عند الناس الذي كان معاوية قد زرعه. وغير ذلك من النتائج الإيجابية.

والظروف التي تلت شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) رغم شدتها وصعوبتها شهدت سلسلة من الانتفاضات والثورات منها:

١ - ثورة التوابين والمختار الثقفي في العراق.

٢ - ثورة زيد بن علي.

٣ - ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن في الحجاز.

٤ - ثورة ابراهيم بن عبدالله بالبصرة.

٥ - ثورة الحسين بن علي صاحب فخ.

٦ - ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا.

٧٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

٧ - ثورة محمد بن جعفر الصادق(عليه السلام).

٨ - ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق(عليه السلام).

فتاريخ الشيعة الحافل بالجهاد يشهد للانسجام التام بين التقية بالمعنى الصحيح وبين الجهاد. ولعل كل حركة سياسية أو غير سياسية تحتاج إلى عوامل تضمن لها النجاح، ومنها السرية والانضباط، مضافة إلى التخطيط السليم.

فالرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) بقي طيله حياته الرسالية يعتمد على هذه العوامل بالإضافة إلى التسديد الإلهي، فقد عمل سراً مدة ثلاث سنوات في أول الدعوة، ولم يطرح كل أهدافه، ولم يبين نواياه حتى بعد أن صدع بالدعوة، وإنما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. لقد عمل سراً في كثير من المجالات خاصة الحرّية منها. إن العديد ممن قبلوا رسالته وآمنوا به بقيت أسماؤهم طي الكتمان حتى بعد الهجرة النبوية. كان بعض المسلمين يعيشون في مكة وفي أوساط المشركين دون أن يطلع أحدٌ على حقيقتهم.

«أبو طالب» عم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وكافله كان من العناصر التي آمنت وبقي إيمانه سراً حتى وفاته؛ ليحفظ مكانته من قريش، ويوظف ذلك في حماية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). وهذه المسألة (أي مسألة إيمان أبي طالب) وإن كانت موضع خلاف بين المسلمين، ولكننا نعتقد أن الإصرار على تكفيره جاء ضمن مخطط

العداء لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي مارسة الأمويون ثم انطلى ذلك على المسلمين حتى اليوم.

ونحن نملك من النصوص ما يوجب القطع بذلك، وعلى سبيل

المثال:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قریش^(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة^(٢).

وعن العسكري (عليه السلام): إن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه^(٣).

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٣١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ١٦ / ٢٣٢.

كيف كان الأئمة(عليهم السلام) يمارسون التقية:

لقد عمل الأمويون لعزل أهل البيت(عليهم السلام) عن المسلمين عزلاً تاماً من خلال الرعب الذي بثوه في النفوس والإرهاب. ولم تسمح لهم الظروف - كما قلنا - بنشر علومهم؛ لشدة الحصار المفروض. وفي أواخر حكم بني أمية وبدايات الدولة العباسية وجد الأئمة متنفساً لنشر حديثهم، لكن الأمر بقي في حدود، ولم يكن بالإمكان العمل بلا قيد ولا شرط.

فالحكام - أياً كانوا - لا يرضيهم ولا يريحهم أن يروا الناس يختلفون إلى بيوت أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، فهم يعرفون منزلتهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ويعلمون أنهم أصحاب هذا الأمر، وأن الناس لو تركوا لا تبوعهم، وبذلك تزداد قدرتهم ولا يؤمن خطرهم على كراسي الحكم التي يتشبثون بها. فلا بد دائماً من الحذر والرقابة والحيلولة دون اتساع نفوذهم. من أجل ذلك اتفق الجميع على اختلاف مشاربهم وأهوائهم على سياسة واحدة تجاه أهل هذا البيت، فالكل يحمل تجاههم نفس المشاعر، نعم قد يختلف ذلك شدة وضعفاً تبعاً للظروف السياسية التي تحيط بالحاكم والإمكانات المتوفرة عنده.

المهم أن عصر الصادقين(عليهما السلام) شهد انفراجاً ملحوظاً لما ذكرنا من انشغال الفريق الجديد بتثبيت حكمه، والتخلص من خصومه، وإرساء قواعد الدولة؛ بينما الفريق السابق يعاني من الشلل والضعف

كيف كان الأئمة (عليهم السلام) يمارسون التقية ٧٣

العام. هذا الوضع مكّن الأئمة (عليهم السلام) من الانصراف إلى جمع التلامذة ونشر الحديث والمعارف الإسلامية التي كان المجتمع الإسلامي في غاية الظمأ لها.

ولأجل تمهيد الطريق لتحقيق هذا الأمر وأداء هذه المهمة كان لابد من الحفاظ على مواقعهم بعيداً عن الساحة السياسية، وإقناع خصومهم بشكل وبآخر أنهم منصرفون عن ذلك. وبسبب ما كان للحكام من نظرة خاصة تجاه أهل البيت (عليهم السلام) من جهة كونهم أصحاب الحق الشرعي، الذي زرع في نفوس أولئك الحكام سرعة الانفعال، وشدة الحذر منهم، كان عليهم سلام الله عليهم أن يكونوا أكثر دقة في التخطيط لمهمتهم، واختيار تلامذتهم، وانتخاب أصحابهم، ومن ثم أكثر حرصاً على تربيتهم على الكتمان في الجوانب المتعلقة بالإمامة وأبعادها وخصائصها، فإنه من الممكن القول بأن علوم أهل البيت (عليهم السلام) على قسمين: قسم كان ينشر بدون أي حذر ولا مشكلة، وقسم كان يعد من الحديث الخاص الذي لا يؤتى إلا من عرف الحق وآمن بالإمامة وبمنزلة الأئمة (عليهم السلام)، ولا شك أن هذا القسم كان هناك حظر رسمي على انتشاره، لا لأنه من المعارف المخالفة للكتاب والسنة، ولا لأنه غريب عن الإسلام، بل لأنه يشكل خطراً عليهم، لأنه يقتضي سلب الشرعية عن حكمهم ويقتضي تعريف الناس بمن هو أولى منهم بالأمر.

ومن هنا نجد أن الإمام الصادق (عليه السلام) يحرص على سؤال طلاب الحديث الذين يدخلون عليه، ومعرفة اتجاهاتهم الفكرية وملاحظتهم السياسية، قبل أن يبادر لتحديثهم. ومن جهة أخرى نراه يحدث من دون سند إذا كان السامع شيعياً عارفاً بعصمتهم، وأنهم يفتون بالعلوم التي ورثوها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بينما يحدث الآخرين مسنداً حديثه عن أبيه عن جده عن أجداده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنهم يتعاملون معه على أنه راو ثقة فلا بد من السند. الإمام في هذه الأجواء لم ينبج من وشايات المغرضين والحاقدين، فكان يتعرض باستمرار لمضايقات الحكام باستدعائه وتفتيش داره، بحثاً عن السلاح والأموال التي تدل عندهم على أنه يدبر أمراً بليلاً، مع أنه (عليه السلام) كان يدرك خطر هذه الأمور على المهمة التي يريد الانصراف إليها، وأن الحكام لن يتركوه فكان لا يترك في داره ما يثير ريبتهم، إلا أنهم مع ذلك لا يأمنون ناحيته. وفي هذه الأجواء كان الحكام يدركون خطورة انتشار التشيع وزيادة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ولو مستقبلاً، فكان لابد من تصفية الشيعة ووضع الإمام تحت الحصار والرقابة، وكانت كلما ازدادت هذه الظروف صعوبة ازداد حرص الإمام على ممارسة التقية والتأكيد على أصحابه بذلك. ولقد تمكن الإمام الصادق (عليه السلام) من خلال هذه «التقية» أن يحقق أمرين: الأمر الأول: أنه استطاع أن يؤسس القاعدة الفكرية الإسلامية الواعية من خلال الحديث الذي نشره على مستوى واسع. حتى بلغ عدد المحدثين عنه في الكوفة وحدها أربعة آلاف رجل. وحارب في الوقت نفسه الزندقة والإلحاد التي تفشت نتيجة للتأثر باليونان وفارس بعد فتحهما واختلاط المسلمين بأهل

كيف كان الأئمة (عليهم السلام) يمارسون التقية ٧٥

الكتاب، وقد تمكن (عليه السلام) من تخريج متكلمين بارعين وقفوا بشدة أمام هذه التيارات الإلحادية. الأمر الثاني: أنه استطاع أن يحقن دماء الشيعة الذين لم يفتأوا يتعرضون للاستفزاز من قبل أعوان السلطة، والملاحقة والقتل خوفاً من زيادة نفوذهم. ولقد كان الحماس أحياناً يدفع ببعض من الشيعة الى التساهل تجاه الأخطار المحدقة والاستهتار بها، فيندفع انطلافاً من حرصه على اظهار فضائل الأئمة وعظيم منزلتهم فيحدث بذلك ما يلفت أنظار الحكام إلى انتشار التشيع وخطورته عليهم، وهذا يعود بالخطر على الأئمة والشيعة، ويكون سبباً في تشديد الحصار والملاحقة. هذا الأمر خصوصاً يكشف لنا السر في بعض النصوص التي تشدد على الكتمان بلهجة قاسية. روي عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق وقلعة الكتمان^(١). وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: إنه ليس احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله، فأقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجتر مودة الناس إلينا [إلى نفسه]. حدثوهم بما يعرفون، واستروا عنهم ما ينكرون.. ثم قال: ما لناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق بما نكره، فإذا عرفتم من عبد اذاعة فامشوا إليه وردوه عنها.. الحديث^(٢). وروي عنه (عليه السلام) قوله: من كان يؤمن بالله واليوم

(١) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢١، والصدوق: الخصال / ٤٤، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ /

(٢) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٣٦.

٧٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية^(١). وروي أيضاً عنه(عليه السلام) قوله: من أذاع علينا شيئاً من أمرنا فهو كمن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأ^(٢). والذي يظهر من هذا الحديث الأخير أن التركيز في الكتمان كان على أمور الإمامة، لقوله(عليه السلام): « شيئاً من أمرنا ». ويشهد له أيضاً ما روي عن القاسم شريك المفضل وكان رجل صدق قال : سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول : خلق في المسجد يشهروننا ويشهرون أنفسهم، أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم، أنطلق فأداري وأستر فيهتكون ستري، هتك الله ستورهم. يقولون: إمام، والله ما أنا بإمام إلا من أطاعني، فأما من عصاني فلست له بإمام، لم يتعلقون باسمي؟ ألا يكفون اسمي عن أفواههم، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار^(٣). لاحظ هذا التشدد، والإشارة إلى أن التساهل كان بنقل أحاديث الإمامة على ما يبدو في الملاء العام في المسجد، فإن عمل واحد غير مسؤول يؤدي إلى تحطيم كل الإنجازات وإضاعة كل الجهود، فإن إفشاء السر يفسد العمل الذي شرطه الكتمان. روي عن أبي عبد الله(عليه السلام): كتمان سرنا جهاد في سبيل الله^(٤). وعنه(عليه السلام): عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه؛ لتكون سحبة مع من يحذره^(٥). وعنه(عليه السلام): ... وأن امامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤١٢.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤١١.

(٣) الكليني ٨ / ٣٧٤، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٣٧.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ٢ / ١٤٧.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي ١ / ٢٩٩، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٢.

كيف كان الأئمة (عليهم السلام) يمارسون التقية ٧٧
والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه^(١). وعنه (عليه السلام): لا تديعوا أمرنا ولا تحدثوا به إلا أهله؛ فإن المذيع علينا أمرنا أشد مؤونة من عدوتنا. انصرفوا رحمكم الله ولا تديعوا سرنا^(٢). وعنه (عليه السلام): كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم، فإنه لا يصيبكم أمر تخصون به أبداً^(٣). وعن الإمام الباقر (عليه السلام): لو أن على ألسنتكم أوكية لحدت كل امرئ بماله^(٤). وعن الإمام أبي الحسن (عليه السلام): إن كان في يدك هذه شيء، فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل. وقال: احفظ لسانك تعزاً، ولا تمكن الناس من قياد رقبتك فتذل^(٥). والخلاصة: أن التقية كانت استجابة للواقع المرّ، وتعاملاً معه بالطريقة المناسبة، وحركة مضادة لجأ إليها الشيعة لتقيهم المكاره، ولتزيل من أمامهم العوائق. التقية لم تحوّل

(١) الصدوق: الخصال / ٣٥٤، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) البرقي: المحاسن ١ / ٣٩٨، والمجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٧٤، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٥٢.

(٣) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٥، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٤٨.

(٤) البرقي: المحاسن ١ / ٤٠٢، والمجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٧٤ - ٧٥.

(٥) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٥، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٤٨.

٧٨.....التقية عند أهل البيت(ع)

الشيعة إلى جمعية سرية، ولا إلى حركة باطنية رغم كل معاناتهم. ولأجل هذا نجدهم اليوم، وبعد أن ارتفعت الدواعي للتقية، سباقين إلى طرح فكرهم وعرض علومهم. وسيأتي في الفصل القادم مزيد بيان عن كيفية ممارسة الأئمة للتقية من خلال التمييز بين التقية والاتقاء.

التقية أم الاتقاء:

من الحالات الدقيقة جداً التي زلّ فيها الكثيرون، مسألة التمييز بين الموارد التي يتقي فيها الإمام (عليه السلام) حذراً من السائل، وبين الموارد التي يتقي فيها خوفاً على السائل، ونعني الموارد التي يقصد فيها الإمام التظاهر بما يخالف الحق، والموارد التي يدفع الإمام فيها أحد أفراد شيعته إلى ممارسة التقية من حيث لا يدري. وسوف نسمي الأول تقية، والثاني اتقاءً للتمييز بينهما. فأحياناً يسأل الشيعي الموالي مسألة فينظر الإمام إلى حال السائل، ويعرف أنه مبتلىً بمحيط ربما يشكل خطراً عليه لو عمل على طبق الحق، ولا ينفع في مثل هذه الحالة أن يأمره الإمام بالتقية؛ لأنه ربما لا يشعر بالحاجة والضرورة لممارستها، فيتعين على الإمام أن يأمره بالعمل الذي يسأل عن حكمه على طبق الفتوى المخالفة لهم، ويتوهم السائل أنه أجابه على وفق المذهب الحق. البعض عندما يقرأ بعض النصوص المروية في مثل هذه الحالات، ويجد أن الفقهاء يحملونها على التقية، يتعجب ويتصور أنه لا يوجد أي مبرر للتقية؛ فالسائل شيعي وليس هناك أحد، فلماذا يتقي الإمام؟!، والحق أن هذه الموارد من باب الاتقاء لا التقية، وقد وردت عدة نصوص تشكل شواهد بينة تدل على أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يمارسون هذا النمط من الاتقاء، وبذلك يمكن تفسير الكثير من الحالات التي بقيت محيرة عند البعض ودفعت المشككين إلى السقوط في مستنقع لا يستحسن وروده. فإن النظرة الشمولية لجميع المتون الحديثية، واستقصاء موارد

٨٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

التقية في الفتوى تمكن الباحث من تكوين صورة كاملة عن كيفية اتقاء الأئمة(عليهم السلام)، ومن هو المتقى منه. فالإمام(عليه السلام) إذا أراد ممارسة التقية بالفتوى فله حالات ثلاث لا يخرج عنها: ١ - أحيانا يأمر الشيعة بالتقية والكتمان، ويترك لهم تشخيص الموارد والظروف، ويفتي لهم بالحق الصريح، وهذه هي الحالة البسيطة العادية، وهذا خارج عن محل بحثنا هنا. ومن أمثلة هذه الحالة ما ورد عن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن الماضي(عليه السلام) عن الرجل يسجد على المسح والبساط، قال: لا بأس إذا كان في حال التقية، ولا بأس بالسجود على الثياب إذا كان في حال التقية^(١). فقد صرح سلام الله عليه بأن الفتوى في حال التقية فقط، وجميع الموارد التي يبين فيها الحكم الواقعي ويأمر بالتقية عند الضرورة تدخل في هذا القسم. ٢ - أحيانا يُسأل الإمام(عليه السلام) من قبل شخص يتقى منه فيجيبه بالفتوى على طبق مذهب العامة، وهنا ربما روى ذلك عن الإمام وسمعه منه الشيعة فيقع التباس في الحكم لمن لا يدرك أن الراوي كان ممن يتقى منه. وهذا النوع إذا وجد، فأخبار معالجة النصوص المتعارضة تتكفل بإصلاحه وسيأتي التعرض لها في فصل مستقل. ويمكن أن يكون عمل الإمام هنا عندما يجيب السائل بحسب مذهب العامة ليس من باب التقية، وإنما لكون السائل يريد الفتوى بحسب مذهبهم، فإن العوام إذا رأوا شخصاً من أهل العلم وكان عندهم مسألة في محل ابتلائهم فإنهم يبادرون لسؤاله دون استفسار عن

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٥ / ٣٤٧.

مذهبه، كما يحصل اليوم في أماكن الالتقاء والمساجد وفي موسم الحج. فالسائل لا يعلم أصلاً أن هذا الجالس هو إمام المذهب الفلاني، بل ربما كان لا يعرف مذهباً آخر غير مذهبه الذي يتعبد به. وهذا له شاهد عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنني أقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألوني، فإن لم أجبه لم يقبلوا مني، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم، فقال لي: انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك^(١). فالإمام أجازة أن ينقل لهم فتواهم، والتقية هنا في كتمان فتوى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا في اظهار فتوى العامة، بل هو ناقل آراء الغير وربما بأسمائهم، وهذا قد ينطبق على بعض الحالات التي يرد فيها السائل على الإمام (عليه السلام). ٣ - الحالة الثالثة: التي هي محل كلامنا هنا، أن يأتي الشيعي ويسأل الإمام، فيقول له: افعل كذا وكذا، أو آمرك بأن تفعل كذا وكذا مما هو مخالف للمعروف من مذهب أهل البيت (عليهم السلام). فهذا في حقيقته ليس فتوى، وإنما هو أمر ولائي، فالإمام (عليه السلام) نظر إلى تكليف المكلف الشخصي بالعنوان الثانوي وأصدر أمراً مطابقاً لذلك التكليف، دون أن يتنبه السائل إلى شيء، فربما توهم أن هذا هو الحكم الكلي المتعلق بالعنوان الأولي. مثاله: لوجاء شخص مريض إلى الإمام وسأله عن أحكام الصوم بالنسبة للمريض، فيجيبه الإمام بقوله: أفطر. أو سأله عن حكم السفر

(١) رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال) / ٣٣٠ ت (٦٠٢)، والحر العاملي: وسائل الشيعة

٨٢.....التقية عند أهل البيت (ع)

فيقول له: قصر في صلاتك. فإن هذا عادة يستفاد منه حكم كلّي لكن بالشروط والقيود التي كانت مأخوذة في السؤال. لكن لو شاهد الإمام مثلاً شخصاً مريضاً ومن دون سؤال سابق قال له: لا تصم، فهذا السامع إذا كان لا يعلم بمرض المخاطب فسوف يعجب ويتوهم أنه أجاز له الإفطار، وربما حمل ذلك على خصوصيات أخرى لا على أساس المرض. فمرجع هذا النوع من التقية إلى أن الإمام (عليه السلام) أخذ على عاتقه تشخيص حال المكلف، ونظر إلى تكليفه الفعلي بلحاظ تلك الحال، وأمره بفعل ذلك.

وأما الشواهد الروائية:

فقد روي أنه كتب علي بن يقطين^(١) إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) يسأله عن الوضوء؟ فكتب إليه أبو الحسن (عليه السلام): فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي أمرك به في ذلك أن تلمضم ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلّل شعر لحيتك، وتغسل يديك من أصابعك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها، وتغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره. فلما وصل الكتاب إلى علي بن يقطين تعجب مما رسمه له أبو الحسن (عليه السلام) فيه مما أجمع العصاة على خلافه، ثم قال:

(١) علي بن يقطين، كان وزيراً للرشيد، شيعياً مقرباً عند الإمام الكاظم (عليه السلام)، راجع أعيان الشيعة للسيد الأمين ٨ / ٣٧١.

مولاي أعلم بما قال، وأنا أمتثل أمره، فكان يعمل في وضوئه على هذا الحد، ويخالف ما عليه جميع الشيعة امتثالاً لأمر أبي الحسن (عليه السلام). وسعي بعلي بن يقطين إلى الرشيد، وقيل: إنه رافضي مخالف لك، فامتحنه الرشيد من حيث لا يشعر، فلما نظر إلى وضوئه، ناداه: كذب - يا علي بن يقطين - من زعم أنك من الرافضة، وصلحت حاله عنده. وورد عليه كتاب أبي الحسن (عليه السلام)، ابتدئ من الآن - يا علي بن يقطين - وتوضأ كما أمرك الله تعالى: اغسل وجهك مرة فريضة وأخرى اسبغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدم رأسك، وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كنا نخاف منه عليك، والسلام^(١). وقريب من هذه القصة روي أنها وقعت بين الإمام الصادق (عليه السلام) وداود بن زربي الذي كان إلى جوار بستان للمنصور، وكان وشي به إلى المنصور أنه رافضي يختلف إلى جعفر بن محمد، فلما اطلع إلى طهارته اعتقد كذب ما أخبر به، فأرسل إليه وأكرمه^(٢). ومن أمثلة وشواهد ذلك ما روي عن سلمة بن محرز قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إن رجلاً مات وأوصى إلي بتركة، وترك ابنته، قال: فقال: أعطها النصف، قال: فأخبرت زرارة بذلك، فقال لي:

(١) المفيد: الارشاد ٢ / ٢٢٧ - ٢٢٨، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١ / ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) رجال الكشي: اختيار معرفة الرجال / ٣١٢ ت (٥٦٤)، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١ /

اتقائك، إنما المال لها. قال : فدخلت عليه بعد فقلت : أصلحك الله، إن اصحابنا زعموا انك اتقيتني، فقال: لا والله ما اتقيتك، ولكنني اتقيت عليك أن تضمن، فهل علم أحد؟ فقلت: لا، قال : أعطها ما بقي^(١). من خلال هذه الأمثلة يظهر واضحاً أن الامام(عليه السلام) إذا رأى السائل في بعض الحالات في معرض الابتلاء والوقوع تحت مراقبة السلطة أو الوقوع في مشكلة كبيرة نتيجة تقيده بالأحكام الواقعية، يأمره بالعمل بالنحو الذي يحقق له النجاة ويحقق دمه، وفي مثل هذه الموارد لا شك أن وظيفة المكلف على طبق أمر الامام، وان لم يلتفت بنفسه إلى انطباق عنوان الضرورة. ولأجل ذلك يسلك الإمام(عليه السلام) في مثل هذه الحالات اسلوب إصدار الأمر الخاص، فيقول : آمرك بكذا، أو أعطها كذا. وهذه النقطة جديرة بأن تلاحظ في دراسة النصوص المتعارضة. فيفرق بين النص الوارد بعبارة بيان الحكم العام، والنص الوارد بعبارة الأمر بالفعل الذي يحتمل الحكم الشخصي الذي يؤخذ فيه الشروط والخصوصيات التي تتوفر بالسائل؛ وقد لا يدلّ عليها أية قرينة لفظية كما أنه يحتمل الحكم العام أيضاً، إلا أنه لرفع التعارض يمكن حمله على حكم تلك الواقعة بالخصوص أو ذلك الشخص بالخصوص لظرف خاص. المهم أن الأئمة(عليهم السلام) بهذه الطريقة كانوا أحياناً يمارسون

(١) الكليني: الكافي ٧/ ٨٦، والطوسي: تهذيب الأحكام ٩/ ٢٧٧، والحر العاملي: وسائل

التقية لدفع الأذى والمكروه عن شيعتهم وأتباعهم، ويحققون دماءهم. كما أنه من خلال هذه الأمثلة يتضح أن حكام تلك العصور كانوا ينظرون إلى التشيع على أنه جريمة نكراء، وأن الالتقاء بالامام (عليه السلام) ذنب يوجب القتل، وهذه الأمور كانت تشكل محور الوشائيات. ومن هنا كانت التقية تنصب على ابعاد تهمة التشيع والرفض، الذي يتوقف على اخفاء كل ما يمكن أن يشكل دليلاً عند السلطة، ولو كان الوضوء. والتقية التي يمارسها الإمام قد لا تكون لأجل حفظ نفسه ولا لأجل خوفه، وانما لهذه الغاية ولهذه المصلحة. واذا اتضح هذا لا تبقى أي غرابة عندما يروى لنا أن بعض الظروف كانت تلجئ الإمام (عليه السلام) إلى القاء الخلاف بين أصحابه، ولعل ذلك يدخل فيما ذكرناه، فهو لكي لا يتميّز الشيعة بقول خاص يستدلّ به على تشيع شخص فيؤخذ به. كما أن الروايات السابقة تكشف عن كون المتقى منه بالدرجة الأولى حكام الجور وأعاونهم وعيونهم؛ واذا حصل حاجة لممارسة التقية بين العوام فلأجل أن لا يشتهر عن الشخص تشيعه المؤدي إلى اطلاع السلطة على ذلك. فبين عوام الناس أيضاً المتقى منه والذي يشكل خوفاً وضرراً هو السلطة الحاكمة ولا أحد يدعي خوفه من نفس العوام الذين قد لا يحملون أي حالة عدائية للشيعة بل ربما كانوا ينظرون إليهم بعين التقدير والاحترام.

بعض أنحاء التقية:

لم يكن يكتفي الجور بمراقبة الامام (عليه السلام) ووضع العيون والقيام بالمداهمات بحثاً عن السلاح والأموال وغير ذلك، وانما كانوا يحرصون أحياناً على استدعاء الامام الى عاصمة ملكهم ليضعوه تحت الرقابة المباشرة وليكون الحصار عليه أشد ما يكون، هذا الأمر كان يجعل الاتصال بين الامام وأصحابه وشيعته معقداً. ولأجل القيام بالاتصالات الضرورية كان يسلك الأئمة وأتباعهم طرقاً كثيرة لاختراق حالة الحصار والتمويه على عيون السلطة. ولقد اضطر مرة هارون بن خارجة الأنصاري لزيارة الامام الصادق (عليه السلام)؛ وكان (عليه السلام) آنذاك بالحيرة وقد منع أبو العباس السفاح الدخول عليه، فذهب هارون ولم يقدر على لقائه، فرأى بائع خيار يلبس جبة صوف، فاشترى منه الخيار كله واستعار جبتة وذهب ينادي على الخيار حتى دنا من أبي عبدالله (عليه السلام)، فدخل عليه وسأله عما أراد، وقد أعجب الامام (عليه السلام)، بفعله وقال له: ما أجود ما احتلت!!^(١) بل لقد كانوا يتوسلون أحياناً بتغيير أسمائهم خاصة خلال المراسلات خوفاً من وقوعها بأيدي الوشاة؛ كما يفعل اليوم فيما يسمى بالاسماء المستعارة. يقول أبو غالب الزراري في رسالته: وكان

(١) القطب الرواندي: الخرائج والجرائح ٢ / ٦٤٢، المجلسي: بحار الأنوار ٤٧ / ١٧١ و

جدنا الأذني الحسن بن الجهم من خواص سيدنا أبي الحسن الرضا(عليه السلام) وله كتاب معروف، وكانت أم الحسن بن الجهم ابنة عبيد بن زرارة، ومن هذه الجهة نسبنا إلى زرارة ونحن ولد بكير، وكنا قبل ذلك نعرف بولد الجهم. وأول من نسب منا إلى زرارة جدنا سليمان، نسبه ابو الحسن علي بن محمد صاحب العسكر [الهادي]، وكان إذا ذكره في توقيعاته إلى غيره قال: الزراري؛ تورية عنه وسترأ له ثم اتسع ذلك وسمينا به^(١). ومن هذا القبيل ما كان تكني به الشيعة عن أئمتهم، خاصة زمان اشتداد المحنة عندما أودع الامام الكاظم(عليه السلام) السجن. فعندما يروون عن الامام الكاظم(عليه السلام) يقولون حدثنا العبد الصالح، أو حدثنا العالم، أو الرجل وأمثال ذلك تقية وتورية. وفي زمان الحصار الشديد كان يلجأ أئمة أهل البيت(عليهم السلام) إلى اتخاذ وكلاء يرجع الناس إليهم ويتم تبادل المراسلات عن طريقهم، وهؤلاء الوكلاء غالباً ما يكونون من المغمورين الذين لا تلتفت إليهم السلطة ولا ترى لهم شأنًا، لكنهم يفترض أنهم من الثقات عند الأئمة. وقد كان وكلاؤهم في أمور الأحماس والزكوات غالباً من الصيارفة الذين لا يثير تعاملهم بالمال أية شبهة عند العيون. وأما كيفية تناقل الكتب بين الامام والوكلاء فهي في غاية الدقة والحذر، فربما اختاروا من الطرق ما يخفى حتى على الخادم الذي ينقلها. روي أن الامام أبي محمد العسكري(عليه السلام) دفع

(١) علي دعموش: موسوعة الاستخبارات والأمن ٢ / ٣٢٤ عن تاريخ الكوفة / ٣٩٣.

إلى داود بن الأسود، وكان وقاد حمام الامام، خشبةً مدوّرة طويلة كأنها رجل باب، وأمره بإيصالها إلى العمري (أحد وكلاء الامام) فراحمه في الطريق بغل لسقاء فضربه بالخشبة فانشقت وإذا بها كتب، فأخذها وأسرع والسقاء يسبه ويشتمه ويشتم صاحبه. وقد وبخه الامام (عليه السلام) عندما علم بذلك على فعله وأمره أن يمضي لما يؤمر به ولا يلتفت الى من يلاقه حتى لو شتمه وشتم إمامه^(١). وقد يكون من أشد الأساليب وأصعبها على الأئمة (عليهم السلام) ما كانوا يلجأون إليه من اختيار اسلوب القدح في خواص أصحابهم وشيعتهم لإيهام أعدائهم أنهم ليسوا من أتباعهم ومحبيهم بل من مخالفينهم، دفعاً للأذى عنهم وحقناً لدمائهم. وهذا الأسلوب رغم كونه من أبرع الأساليب إلا أنه قد يترك أحياناً بعض الآثار السلبية عند بسطاء الشيعة الذين لا يدركون مغزى ذلك القدح والسرّ فيه. لكن كبار الأصحاب والمقربين منهم يعرفون لحن كلام أئمتهم ويدركون مرامهم. من ذلك ما ورد عن عبدالله بن زرارة قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): اقرأ مني على والدك السلام وقل له: اني انما أعيبك دفاعاً مني عنك، فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قرّبناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى في من نحبه ونقربه، ويذمونهم لمحبتنا له وقربه ودنوه منا، ويرون ادخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٢٨٣ / ٥٠، وابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٦٠ -

٤٦١، وعلي ديموش: موسوعة الاستخبارات والأمن ٢ / ٣٣٨.

كل من عيناه نحن... فإنما اعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا، وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر لمودتك لنا ولميلك إلينا، فأحببت أن اعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دفع شرهم عنك، يقول الله عزوجل: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) هذا التنزيل من عند الله، صالحة لا والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه، ولقد كانت صالحة ليس للعب فيها مساغ، والحمد لله، فافهم المثل يرحمك الله... الحديث^(١). وأمثلة ذلك كثيرة، وهذا ينفع في فهم لحن كلامهم (عليه السلام) في الجرح والتعديل، وهو يتوقف على الدراسة الواعية والشاملة لمجمل نواحي وأساليب عملهم والظروف المحيطة بهم، ليتمكن إدراك ما له مدخلية في ظهورات كلامهم مما يشكل قرائن حالية.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٢٤٧، ورجال الكشي (اختيار معرفة الرجال) ١٣٨ ت ٢٢١، وعلي دعموش: موسوعة الاستخبارات والأمن ٢ / ٣٤١.

التقية وأسلوب التورية:

إن كيفية ممارسة التقية مسألة تخضع للظروف وتختلف باختلاف الموارد، وهي فن بكل ما للكلمة من معنى، وقد تقدم كيف أن بعض أنحاء التقية كان يتم بأسلوب ذكي فيؤدي الغرض بنجاح، فالمسألة تعتمد على مقدار براعة الانسان، وباعتبار أن التقية تدخل في باب الضرورات فلا بد من الاقتصار في ارتكاب المحظورات على القدر المتيقن، وليس للإنسان أن يذهب بعيداً في تجاوز حدود الشريعة، فهي انما شرعت لتحفظ هذه الحدود، وتفتدي الأهم من تلك الحدود بالأقل أهمية. فإذا كان للمكلف مندوحة وكان أمامه باب للتخلص من دون وقوع في مخالفة الشريعة أو كان هناك مجال للتخلص بالمخالفة الأصغر فلا يجوز ارتكاب المخالفة الكبرى. عن أبي عبدالله(عليه السلام)، في الرجل يحلف تقية، قال: إن خشيت على دمك ومالك فاحلف ترده عنك بيمينك، وان رأيت أن يمينك لا يرد عنك شيئاً فلا تحلف^(١). والكذب هو أحد المحظورات التي يباح ارتكابها للتقية ورفع الظلم كما ذكرنا في بدايات هذا البحث، إلا أن الإنسان في الكثير من الأحيان يعثر على مخرج يعصمه من الوقوع في الكذب، حيث أن باب التورية واسع جداً، فإذا قدر انفتاح هذا الباب أمامه، لم يحل له الكذب

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤١١.

قطعاً. في الرواية عن الرضا (عليه السلام) قال: إن الله تعالى جعل هذه التورية ممّا رحم به شيعتنا ومحبينا^(١). الناس يختلفون من حيث قدرتهم على استعمال التورية، ولقد كان بعض أصحاب الأئمة (عليهم السلام) يجيدون استعمالها ويحسنون التخلص من المواقف الحرجة التي يقعون فيها، هؤلاء كانوا أكثر قدرة على الحركة والنفوذ في أعماق المجتمع، ومن ثم دفع الكثير من المخاطر التي كانت تعترضهم، فهي تدخل أحياناً في المواهب والملكات المتفاوتة شدة وضعفاً عند الناس. من الأمثلة اللطيفة للتورية ما ذكر من أن حجر البدري أخذه الحجاج بن يوسف الثقفي على أن يسب علياً فصعد المنبر وقال: أيها الناس إن أميركم هذا أمرني أن ألعن علياً ألا فالعنوه لعنه الله^(٢). ومراده من الضمير في قوله: إلعنوه، ولعنه الله، نفس الحجاج الذي أمره وليس علياً. ورويت هذه القصة بالذات عن عقيل بن أبي طالب وكان معاوية قد أمره بذلك أيضاً. وسئل ابن الجوزي مرة عن أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان ذلك محرّجاً له فهو لا يريد أن يرضي فريقاً ويغضب فريقاً آخر فقال لهم: من كانت ابنته تحته^(٣). وهذا الكلام يحتمل الوجهين إذ إن

(١) الطبرسي: الاحتجاج ٢ / ٤٥٨، والمجلسي: بحار الأنوار ٦٨ / ١٥، و ٧٥ / ٤٠٥.

(٢) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٠٣، والمجلسي: بحار الأنوار ٣٩ / ٣١٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٧١، والطبسي: التحصيل في أيام التعطيل / ٤٩ عن:

كشكول البحراني ٢ / ٢٣٠.

بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تحت عليّ (عليه السلام) وبنت أبي بكر كانت تحت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن بديع التوراية في مقام التقية ما روي عن الصادق (عليه السلام) في قصة مؤمن آل فرعون عندما وشي به عند فرعون، فأحضره وأحضر الواشين، فقالوا: أنت تكفر بربوبية فرعون!! فقال لفرعون: هل جرّبت عليّ كذباً قط؟ قال: لا، قال: فسلهم من ربهم ومن رازقهم و... فقالوا: فرعون هذا، فقال المؤمن: فاني أشهدك وأشهد من حضرك أن ربهم هو ربي وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي.. لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهم وخالقهم ورازقهم.. وأراد بذلك الله عزّوجلّ وليس ما قالوا وما توهموا^(١). ومن تلك الأساليب تغيير الحركات الاعرابية على نحو يتوهم السامع أنه من باب اللحن في الكلام، مع أنه مقصود للمتكلم وله وجه لا يتبادر إلى ذهن السامع في اول وهلة، أو العدول عن الاخبار إلى صيغة الاستفهام، أو التعجب أو استعمال الكلمات المشتركة وقصد أحد المعنيين الأبعد عن ذهن السامع مع ايهام ارادة الآخر. ولقد كان بعض الأصحاب ممن له براعة في هذا الفن يلقن أصحابه من المواليين كيفية التخلص في المواقف الصعبة لو سئل عما يتقي فيه. فمن ذلك ما روي أن بعض الشيعة ذكر في حضرة الامام العسكري أنه يُمتحن ويطلب منه أن يحلف فسأل كيف أصنع معهم؟ فقال له بعض الأصحاب الذين كانوا

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٤٠٢.

في المجلس: كيف يقولون؟ قال: يقولون لي: أتشهد أن فلاناً هو الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فلا بد لي من أن أقول: نعم، وإلا أئخذوني ضرباً، فإذا قلت: نعم، قالوا لي: قل: والله. فقال له: قل: نعم، واقصد به نعماً من الابل والبقر والغنم، فإذا قالوا: قل والله، فقل: ولى، أي ولى - تريد - عن أمر كذا، فإنهم لا يميزون وقد سلمت، فقال: فإن حققوا عليّ وقالوا: قل والله وبين الهاء؟ فقال: قل والله، برفع الهاء فإنه لا يكون يميناً إذا لم تخفض الهاء^(١). وفي القرآن الكريم شواهد على مثل ذلك كما ورد في قصة يوسف و ابراهيم. فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: .. لقد قال ابراهيم (إني سقيم) والله ما كان سقيماً وما كذب، ولقد قال ابراهيم (بل فعله كبيرهم) وما فعله كبيرهم وما كذب، ولقد قال يوسف (أيتها العير إنكم لسارقون) والله ما كانوا سرقوا وما كذب^(٢). وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله يفسر ذلك فيقول: .. ما فعله كبيرهم وما كذب ابراهيم (عليه السلام)، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: إنما قال ابراهيم (عليه السلام): (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) إن نطقوا فكبيرهم فعل وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً فما نطقوا وما كذب ابراهيم. فقلت: قوله عز وجل في يوسف: (أيتها العير إنكم لسارقون) قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه ألا

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري / ٣٦٣، والمجلسي: بحار الأنوار ٤٠٦ / ٧٥، وانظر ٤٠٣ - ٤٠٧.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ٢ / ٢٠٦ و ٢٠٩ و ١٢ / ٣٠٨.

ترى أنه قال لهم حين قال: ﴿ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك﴾ ولم يقل: سرقتم صواع الملك، إنما عنى سرقتم يوسف من أبيه. فقلت: قوله: ﴿إني سقيم﴾ قال: ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب، إنما عنى سقيماً في دينه مرتاداً^(١). وقد روي أنه عنى بقوله: ﴿إني سقيم﴾ أي سأسقم، وكل ميت سقيم، وقد قال الله عزوجل لنبيه(صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿إنك ميت﴾ أي ستموت.

(١) المجلسي: بحار الأنوار ١١ / ٧٦.

الخروج عن الحدّ في التقيّة:

ربما يقع البعض في مشكلة المبالغة في التقيّة والكتمان نتيجة إساءة تفسير بعض النصوص وعدم الوقوف على المراد الحقيقي فيها، وعدم ادراك سرّ تأكيد الأئمة (عليه السلام) على التقيّة. من قبيل ما روي عن الرضا (عليه السلام) أنه قال: لا دين لمن لا ورع له ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقيّة، قيل: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: إلى قيام القائم، فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منا... الحديث^(١). ومن قبيل ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال لحبيب بن بشير: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقيّة، يا حبيب، إنه من كانت له تقيّة رفعه الله، يا حبيب، من لم تكن له تقيّة وضعة الله... الحديث^(٢). هذه الأخبار وأمثالها أوقعت البعض في خطأ كبير واشتباه عظيم، فذهب إلى الاعتقاد بضرورة اخفاء الحق وعدم جواز اظهاره حتى ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه. والسبب الذي أوصلهم إلى هنا، أنهم لم يقارنوا الأخبار والروايات جيداً مع بعض ولم يلتفتوا إلى الظروف التاريخية المحيطة بالنص، فدرسوها بمعزل عن القرائن الحالية. بينما المفروض دراسة هذه القرائن ومناسبات الحكم

(١) الصدوق: اكمال الدين / ٣٧١، الطبرسي: اعلام الورى / ٤٣٤، الخزار: كفاية الأثر / ٢٧٠، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١١.

(٢) الكليني: الكافي ٢ / ٢١٧، البرقي: المحاسن ١ / ٣٩٩، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٠٥، المجلسي: بحار الأنوار ٧٥ / ٣٩٨.

والموضوع، ورعاية الزمان والمكان في كل نص، وملاحظة المخاطبين مباشرة والاطلاع على أحوالهم، ثم بعد ذلك يمكن تشكيل دلالة ظاهرة للنص من خلال كل هذه الأمور. والبعض قد يتخذ من التقية غطاءً للركون إلى الراحة والفرار من المسؤولية، خاصة مسؤولية الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي قد تكلفه الكثير، هؤلاء مع الأسف يشوهون مفهوم التقية، ويتخذون من هذا القانون الإسلامي العظيم مبرراً لأهوائهم الشخصية، وهذا النوع من سوء الاستفادة لن يؤثر على حكمة التشريع ومصالحته. ويبدو أن هذه الحالة الشاذة كانت موجودة في كل عصر. الإمام الصادق (عليه السلام) يقول مخاطباً نماذج من هذا القبيل: إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية، وإيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم: لانفعل، إنما نتقي، ولكانت التقية أحب إليكم من آباءكم وأمهاتكم، ولو قد قام القائم ما احتاج إلى مساءلتكم عن ذلك، ولأقام في كثير منكم أهل النفاق حدّ الله^(١). وكان الإمام الرضا (عليه السلام) قد حجب جماعة من الشيعة وردوا عليه وجفاهم، وما زالوا يختلفون على داره حتى أذن لهم، فقالوا: يا ابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟ إقال (عليه السلام): لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون ومقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية،

(١) الطوسي: تهذيب الاحكام ٦/ ١٧٢، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦/ ٢٣٤ - ٢٣٥.

وتتكون التقية من حيث لا بد من التقية^(١). وفي الرواية عن الصادق (عليه السلام): للتقية مواضع من ازالها عن مواضعها لم تستقم له^(٢). فمعرفة المواضع والالتزام بحدودها مهم جداً، وإلا فدقة المقام قد توقع الإنسان في الإفراط أو التفريط. ومن هنا كانت وصايا الأئمة تنصب على الدقة والفظانة والتدبر في مختلف الشؤون ليكون الإنسان على بينة من أمره. يقول أبو جعفر الباقر (عليه السلام): في حكمة آل داود: ينبغي للمسلم أن يكون مالكا لنفسه مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، فاتقوا الله ولا تضيعوا حديثنا...^(٣). فلا بد للمسلم أن يعرف خصوصيات الزمان والمكان وحدود الأحكام وإلا وقع من حيث يدري أو لا يدري في الفساد في الدين المنهي عنه، وتضييع الأحكام. ليس الملاك دائماً حفظ النفس، فإنه وإن كان واجباً، إلا أن هناك ما هو أهم من حفظ النفس أحياناً، فلا بد من الموازنة بدقة، والتجرد عن الأهواء النفسية، والترفع عن المصالح الشخصية والدينية فيما لو اصطدمت بالمصالح الدينية والأخروية. ولا بد من دراسة كل مورد بعين الاعتبار والتدبر. وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن التقية أحد أنواع الجهاد إذا كانت في مواضعها الصحيحة وبحدودها المسنونة. فليس من المعقول أن يكلف الله الإنسان في المواضع التي تختل فيها موازين القوى ويكون أعزل من أي قدرة

(١) الطبرسي: الاحتجاج ٢ / ٤٦١، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٧، والمجلسي: بحار الأنوار ٢٢ / ٣٣٠ و ٦٥ / ١٥٨.

(٢) الكليني: الكافي ٢ / ١٦٨، والحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٦.

(٣) الكليني: الكافي ٢ / ٢٢٤، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢٤٧.

وإمكانية بحيث لا تقدم توضيحه وإتلاف نفسه أية فائدة للإسلام، لا يعقل أن يكلف بالإقدام على القتل. كما أنه ليس من المشروع أن يعتبر الإنسان نفسه أعز عليه من كل شيء، فيحفظها ويمنعها ولو أدى إلى الفساد في الدين وهلاك الملة. يقول الامام الراحل، الامام الخميني(قدس سره):التقية لحفظ الدين، فحيث يكون الدين في خطر لا محل للتقية ولا مكان للسكوت^(١). ويقول أيضاً في خطابه الذي ألقاه في المدرسة الفيضية في قم سنة ١٣٤٢هـ. ش:حضرات السادة قد لاحظوا أن أصول الاسلام في معرض الخطر. القرآن والمذهب في خطر، مع هذا الاحتمال التقية محرمة، وإظهار الحقائق واجب ولو بلغ ما بلغ^(٢). هذا هو رأي الشيعة في التقية. إن الذين يستنكرون على الشيعة التقية إما أنهم أساءوا فهمها، أو أنهم لا يرضيهم أن يروا شيعة أهل البيت(عليهم السلام) ومحبيهم وأتباعهم ينتشرون في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، ولا يرضيهم أن ينتشر التشيع بفضل هذا المبدأ العظيم الذي مكنهم من ممارسة نشاطهم التبليغي في أقسى الظروف وفي أسوأ الأحوال.

(١) الامام الخميني: صحيفة نور (بالفارسية) ٣٨ / ٧.

(٢) الامام الخميني: صحيفة النور (بالفارسية) ٤٠ / ١.

التقيّة والتعارض بين الأخبار:

لا أحد ينكر أهمية السنة الشريفة في استنباط الأحكام الشرعية وأخذ المعارف الدينيّة؛ إذ إنها تشكل المصدر الثاني من مصادر الشريعة بعد كتاب الله، وهي المفسرة والمبينة والمفصلة للكتاب. وما هو متوفر في أيدي المسلمين من الحديث، فيه الكثير من الاختلاف والتعارض، بل إن الاختلاف كان قد ظهر مبكراً في حياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ونحن إذ نعتبر أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد شرفهم الله تعالى بالعصمة ورزقهم المقام المحمود وأورثهم علوم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن ما يصدر عنهم من الحديث يدخل في السنة، ويجري فيه ما يجري في السنة النبوية الشريفة، ولبحث هذا الجانب مقام آخر. وقد أخذ علم الأصول على عاتقه دراسة حالات الاختلاف والتعارف، ووضع قواعد لعلاج ذلك والتخلص منه، ومن ثم الوصول إلى الأصح أو ما هو حجة يمكن التمسك به. وقد ذكروا عدة عوامل لنشوء التعارض بين الأخبار وظهوره منها:

- ١ - وجود النسخ في الحديث الذي يؤدي إلى التعارض بين الناسخ والمنسوخ عند عدم التصريح به وفقدان القرائن الداخلية عليه.
- ٢ - اختفاء القرائن التي لها تأثير على فهم المراد الحقيقي، وذلك لعدة أسباب: منها التقطيع الذي طرأ على الأخبار، وأدى إلى وجود

١٠٠.....التقية عند أهل البيت(ع)

قطعة في محل وقطعة أخرى في محل آخر مع كون إحدى القطعتين تتضمن قرينة تعين المراد هناك. ومنها: إهمال الراوي لنقل القرائن الحالية اعتماداً على كونها معروفة، لكن هذه القرائن لن تكون معروفة عند الطبقات المتأخرة مما يؤدي إلى حالة التعارض.

٣- نقل الحديث بالمعنى، ومدخلية فهم الراوي في ذلك مما قد يؤدي إلى تغيير الحديث عن أصله.

٤- ملاحظة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أو الامام(عليه السلام)

لخصوصيات الراوي وحاله ورعاية ذلك في الإجابة.

٥- وضع الحديث والتزوير الذي ابتلي به الحديث منذ الصدر الأول، ولهذا أكبر الأثر على نشوء الاختلاف والتعارض. ولقد كان الدافع لوضع الحديث وتزويره أمور: منها سياسية تبريرية، ومنها اسرائيلية تهدف إلى تخريب الدين وإفساده، ومنها لأغراض عصبية في مجالات النزاع بين أهل الأهواء والآراء والمذاهب، والأحزاب والقبائل. وغير ذلك.

٦- وأخيراً من عوامل ظهور التعارض استعمال التقية، خاصة في الموارد التي تدخل تحت عنوان الاتقاء التي تخلو أحياناً من قرينة تدل على ذلك عند خصوص السائل، وإن كان هناك من القرائن العامة ما يمكن الاعتماد عليه، وفيما تقدم من الأمثلة بيان كاف وتصوير واف لدواعي التقية وكيفية ممارستها. وقد وضع أئمة أهل البيت(عليهم السلام)

لشيعتهم بعض القواعد لتكون مرجعاً لهم في التمييز بين الأخبار وعلاج حالات التعارض، ومن أهم تلك القواعد والموازن اثنان:

١ - موافقة الكتاب

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف^(١). وعنه (عليه السلام) أيضاً قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف^(٢). وعنه (عليه السلام) أيضاً قال: إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله؛ فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فردّوه^(٣)... إلى ما هنالك من نصوص في هذا المجال، وهما مما لا يختلف فيه اثنان. نعم شدّ من لا يعتد به فقال: إن السنة حاکمة على الكتاب. وهو لا يستحق المناقشة والوقوف عنده.

٢ - مخالفة العامة

وهذه النقطة خاصة هي التي دعنا لعقد هذا الفصل. فإن البعض يثير هذه المسألة على أساس أنها دعوة إلى الخلاف ودعوة إلى تكريس حالة الشقاق والفرقة بين المسلمين، ويبني على ذلك استحالة العمل في

(١) الكليني: الكافي ٦٩/١، البرقي: المحاسن ٣٤٧/١. والحر العاملي: وسائل الشيعة ١١١/٢٧.

(٢) الكليني: الكافي ٦٩ / ١. الحر العاملي: وسائل الشيعة ١١٠ / ٢٧.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١١٨ / ٢٧.

١٠٢.....التقية عند أهل البيت(ع)

سبيل الوحدة وعدم إمكانية تقريب وجهات النظر. لماذا كانت مخالفة العامة علامة للترجيح في حالة التعارض؟ ليس هناك في الواقع أية موضوعية لمخالفة العامة لولا الواقع الذي دفع أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يمارسون التقية، فالأخبار الصادرة عنهم في مثل هذه الظروف يحتمل أن تكون صدرت لأجل التقية وأنها وإن كانت وظيفة السائل - كما قدمنا - وأنه عليه العمل بها، إلا أن ذلك السائل سوف يروي ما أجابه به الإمام(عليه السلام)، الأمر الذي سيجعل هناك روايتين صادرتين عن الإمام أو مرويتين عنه، في هذه الحالة لو أراد المكلف نفسه أن يميز بين الصادر لغرض بيان الحكم الواقعي والصادر لأجل التقية فماذا يفعل؟، ليس أمامه إلا أن يعتبر أن الموافق للعامة هو الذي فيه التقية والمخالف هو الصحيح الذي يمكن الأخذ به. يروي عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه حول هذا الأمر: ما سمعته مني يشبه قول الناس ففيه التقية، وما سمعته مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه^(١). وقال(عليه السلام) لبعض أصحابه أيضاً: أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقال: لا أدري، فقال(عليه السلام): إن علياً(عليه السلام) لم يكن يدين الله بدين إلا خالفت عليه الأمة إلى غيره، إرادة لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين(عليه السلام) عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم، جعلوا له ضداً من عندهم، ليلبسوا على

(١) الطوسي: تهذيب الاحكام ٩٨/٨، والحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧/١٢٣.

التقية والتعارض بين الأخبار ١٠٣

الناس^(١). وقد يتعجب الإنسان في أول وهلة أنه كيف يمكن أن يكون ذلك؟ لكن إذا رجعنا إلى الواقع التاريخي الذي تحدثنا عن صفحة منه فيما سبق، وخاصة تلك الحالة التي كان عليها بنو أمية، فإن الذين اتخذوا سبَّ علي (عليه السلام) سنة وقربةً هل يستبعد عليهم أن يدفعهم بغضهم لعلي وكرهاتهم له إلى مخالفته في كل ما يدين به؟ أليس بغض علي (عليه السلام) إماراة النفاق؟! ألم يكن المسلمون في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرفون المنافقين ببغضهم لعلي بن أبي طالب^(٢)؟! وهل يرتجى من أهل النفاق إلا الفساد في الدين. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾.

وهذه الطريقة وهي الرجوع عند التعارض إلى مخالفة المخالفين في التمييز، معهودة من غير الشيعة وليست مختصة بهم ابداً. فقد حكي عن الشافعية أنهم رجحوا فتوى علي فتوى بمخالفة أبي حنيفة، فقد جاء في كتاب جمع الجوامع وشرحه: أن أبا حامد الاسفراييني، وهو أحد شيوخ الشافعية، قال: إذا ورد عن الشافعي قولان لا يعلم أيهما المتأخر فالقول

(١) الصدوق: علل الشرائع / ٥٣١، والحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧ / ١١٦.

(٢) راجع: القاضي التستري: احقاق الحق ٧ / ٢٣٧ - ٢٤٦ مصادر حديث علاقة النفاق بغض علي (عليه السلام).

(٣) سورة البقرة / ١١ - ١٢.

١٠٤.....التقية عند أهل البيت(ع)

المخالف لأبي حنيفة أرجح من القول الموافق له^(١). أما الكرخي وهو أحد أئمة الأحناف فيقول: إن الأصل قول أصحابهم فإن وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك وإلا وجب تأويلها، وجرى العمل على هذا^(٢). ثم إن هواية الميل إلى مخالفة أئمة أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم لم تكن حكراً على بني أمية وإن كانوا هم قد فازوا بقصب السبق إليها، فهناك من المتأخرين جماعة صرحوا بذلك. يقول ابن تيمية في منهاجه - عند بيان التشبه بالشيعة -: ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذ صارت شعاراً لهم (أي الشيعة) فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في اظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة المستحب^(٣). وقال مؤلف كتاب الهداية: إن المشروع التختيم باليمين، ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار^(٤).

وقال الزرقاني في صفة عمامة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كما روى الامام علي(عليه السلام) في اسدالها على منكبه حين عممه رسول الله(صلى

(١) محمد جواد مغنية: علم أصول الفقه في ثوبه الجديد / ٤٤٤.

(٢) محمد رشيد رضا: تفسير المنار ٢ / ٨٣، ومحمد جواد مغنية: علم أصول الفقه / ٤٤٤.

(٣) أسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة / ٥ / ١٧١ - ١٧٢، وعبدالله نعمة: روح التشيع / ٢٢٠.

(٤) أسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة / ٥ / ١٧١ - ١٧٢، وعبدالله نعمة: روح التشيع / ٢٢٠.

الله عليه وآله وسلم): إن الحافظ العراقي قال: إن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الامامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبدالرحمن في كتاب رحمة الأمة: السنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة وأحمد: التسليم أولى لأن التسطيح صار شعاراً للشيعة^(٢).

وقال الغزالي: إن تسطيح القبور هو المشروع ولكن لما جعلته الرافضة شعاراً عدلنا إلى التسليم^(٣). فلاحظ كيف تستنبط الأحكام، وما هي الملاكات والمصالح التي يبني عليها الحكم الشرعي عندهم، أضف إلى أن المقصود من «العامة» و«الناس» عندما يأمر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالأخذ بما خالفهم، هم فقهاء البلاط وقضاتهم الذين كانت السلطة تروج لهم، وتفرض على الناس الرجوع إليهم دون غيرهم من فقهاء الزمان. المقصود أهل الرأي والقياس الذين يفتون الناس بآرائهم دون الاعتماد على كتاب أو سنة، وإلا فكيف يأمر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بمخالفة الكتاب والسنة، وهم أحرص الناس على حفظهما وإرجاع الناس إليهما، وهم قد جعلوا العرض على الكتاب والسنة القطعية أول ملاك للتمييز بين الصحيح والسقيم من الأخبار ومعرفة

(١) أسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة ١٧١ / ٥ - ١٧٢، وعبدالله نعمة: روح التشيع / ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

١٠٦.....التقية عند أهل البيت(ع)

كلامهم من الزخرف الموضوع عليهم.وقد تقدمت الرواية عن الصادق(عليه السلام): ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف^(١).فمحال أن يأمرؤا بالأخذ بما خالف الفتاوى المعتمدة على الكتاب والسنة وهم الآمرون بالإرجاع إليهما. فمن الضروري أن يكون مرادهم من مخالفة العامة هي الفتاوى المعتمدة على الرأي والقياس والأخبار الموضوعة التي لم تثبت من طرقهم.وإذا ضمّ إلى ذلك أنهم يمتلكون السنة النبوية الشريفة المدونة عندهم بإملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وخط علي(عليه السلام) والتي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة، ولم يعرض عليها النسيان ولا نالتها أيادي الدسّ والتلاعب، ندرك أنهم سلام الله عليهم ميزان الحق، وأنهم لا يأمرؤن بباطل قط ولا يفتون بالآراء والاجتهادات، وإنما هي سنة معهودة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)حفظوها وضيعها الناس.إذا عرفنا ذلك يتضح أمران:الأول: أن التمييز والترجيح بمخالفة العامة ليس معناه أصالة الخلاف بمقدار ما هو تمييز بين ما صدر منهم تقيّةً وما صدر لبيان الحكم الواقعي بلا تقيّة.والثاني: أن المراد من مخالفة العامة مخالفة الفتاوى المعتمدة على الرأي والقياس دون غيرها، لأنهم لا يخالفون الكتاب والسنة بتاتاً ولا يأمرؤن بمخالفتهما بل يأمرؤن بالرجوع إليهما وجعلهما ميزان معرفة الحديث.وهم(عليهم السلام) قد خالفوا الاعتماد على الرأي والقياس علنا

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٧ / ١١٠.

التقية والتعارض بين الأخبار ١٠٧

وعارضوه جهاراً، واعتبروا ذلك نقطة انحراف في الاستنباط وابتعاد عن روح التشريع. فعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً. وإن دين الله لا يصاب بالقياس^(١). وسئل أبو الحسن موسى (عليه السلام) عن القياس فقال: ما لكم والقياس؟! إن الله لا يُسأل كيف أحلّ وكيف حرّم^(٢). وأخبار النهي عن القياس والافتاء بالرأي عنهم (عليهم السلام) كثيرة جداً.

(١) الكليني: الكافي ١/ ٥٧.

(٢) الكليني: الكافي ١/ ٥٧.

شبهات حول التقيّة

١ - شبهة كون التقيّة من أصول الدين:

بعض (الباحثين!) الذين ينقصهم الاطلاع الكافي على التشيع يتصدى للكتابة عنه، وهذا بلا شك يوقعه في هفوات كبيرة، بل يجره إلى الابتعاد عن الصواب كليّة. بعض هؤلاء يتهم الشيعة بأنهم يعتبرون التقيّة من أصول الدين، وبناءً عليه يكون منكرها كافراً والعياذ بالله. طبعاً ليس دليله أنه قرأ في كتاب من كتب الشيعة ذلك ولا سمعه من أحد، وإنما هو قرأ في بعض الكتب أن الشيعة يروون عن الإمام الصادق (عليهم السلام) قوله: التقيّة ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقيّة له^(١). وقوله: لا خير فيمن لا تقيّة له، ولا ايمان لمن لا تقيّة له^(٢). والمؤسف أن هؤلاء لم يتبعوا أنفسهم في مراجعة كتاب من كتب العقائد عند الشيعة، مع أنها منتشرة في الآفاق تملأ الواجهاً في المكتبات الخاصة والعامة^(٣). ولا يرجعون إليهم ليروا كيف يفسرون هذه الأحاديث. التقيّة كما قلنا أكثر من مرة من الأساليب العملية، وهي مسألة فرعية لها أحكامها التكليفية، وقلّما

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٠.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٦ / ٢١٢، البرقي: المحاسن ١ / ٤٠١.

(٣) نعم إن بعض الحكومات التي تصر على معاداة التشيع تمنع دخول هذه الكتب، وتسمح فقط بقراءة التشيع من كتب واقلام أعدائه وإذا حرم المثقفون وطلاب الحقيقة في تلك البلاد من معرفة آراء الشيعة فليس ذنبنا.

يخلو كتاب شيعي فقهي أو عقائدي من ذكرها وبيان أحكامها. أما هذه النصوص، فإن المراد بها أنها مما يدان به ويلتزم به، فإن الدين يأتي على معان، منها الجزاء ومنها الطاعة ومنها العادة الشأن، وتقول العرب ما زال ذلك ديني وديني قال المثقّب العبدى يذكر ناقتة: تقول إذا درأت لها وضيئاً هذا دينه أبداً وديني^(١) وفي حديث علي (عليه السلام): محبة العلماء دين يدان به^(٢). ثم إنّ التقيّة تحفظ للإنسان دينه والتزامه، فلولاها لفتن وعذب وقتل، فهو إذ يحفظ نفسه يحفظ دينه ويعبد ربّه ولو كان سرّاً. هذا هو المراد من هذه النصوص وأمثالها. والعجيب أن البعض يأخذ النصّ الذي يقع تحت ناظره، ويستنبط منه وينسب ذلك رأساً إلى رواية الحديث ومخرّجه، دون أية رعاية لقواعد الاستنباط. وهذا مما ابتلي به الشيعة مع الأعداء والمبغضين والمشنعين. فربما كان النصّ الذي قرأه ساقطاً عن درجة الاعتبار عندنا، وربما كان معارضاً بغيره مما هو أرجح منه ومقدم عليه، وربما كان فيه من الإجمال ما يرفعه حديث آخر ونص آخر، وربما كان مؤولاً لأجل عدد من القرائن المنفصلة الواردة في نصوص أخرى، وربما كان غير ذلك.

٢ - شبهة كون التقيّة من النفاق:

عدد من المبغضين للشيعة والمشنعين عليهم يجعل التقيّة مصداقاً للنفاق، مدعياً أن النفاق هو أن تظهر خلاف ما تبطن من عقيدة، وبالتالي

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٣ / ١٦٩ مادة: دين.

(٢) المصدر السابق.

يعد الشيعة الملتزمين بها كلهم والعياذ بالله من المنافقين. هكذا دون تخرج أو خوف من الله. ونحن أسمىنا هذه التهمة النكراء شبهة تسامحاً وإلا فهي من الواضح بمكان، حيث إن النفاق في الدين ستر الكفر بالقلب واطهار الايمان باللسان^(١). وأين هذا من التقيّة التي هي على العكس تماماً، ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾، فهي إظهار الكفر واخفاء الإيمان وستره بالقلب، وتقية الشيعة كانت في اخفاء الإيمان والاعتقاد بالإمامة والولاية لأهل البيت(عليهم السلام)، يعني ستر التشيع مع التظاهر بموافقة الآخرين في عقيدتهم تجاه الإمامة، وهم عندما يظهرون الشهادات والإيمان بالقيامة، ويمارسون العبادات ويعملون بالفروع، يعتقدون ذلك بقلوبهم، ويعيشون هذه العقيدة بوجدانهم وأرواحهم أيضاً، الشيعة لا يعرف النفاق طريقاً إلى قلوبهم، وهم المسلمون أمرهم لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، العاملون بكتاب الله، والملتزمون بوصية رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) باتباع أهل بيته أئمة الهدى. هم الملتزمون بمودة القربى امثالاً لأمر الله عزوجل، فأين هو النفاق والكفر؟! إذا كان الشيعة بسبب البلاء الذي تعرضوا له، والإرهاب الذي مورس ضدهم قد اضطروا للاتقاء من حكام الجور فيما يرجع لعقيدتهم في الامامة، فأى مسلم لا يكتب رأيه وعقيدته إذا انصبت عليه أبعاض تلك البلايا. وبعد أن عرّف الرضي التقية بأن يقى الإنسان نفسه

(١) راجع: الشرتوني: أقرب الموارد، مادة نطق.

من العقوبة بما يظهره وإن كان يضمن خلافه، قال: وقد كان بعض الناس يأتي ذلك ويقول: إنه من النفاق، والصحيح أن ذلك جائز لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾^(١).

٣ - شبهة كون التقيّة تؤدي إلى محق الدين:

هذه الشبهة أثارها بعض المستشرقين ومن يسير في ركبهم، وتلقفها من يتربص بالشيعة ويبحث عن المثالب، وبعضهم طوّر الشبهة حيث اعتبر أن التقيّة تحوّل الشيعة إلى جمعية سرّية خطيرة ذات أهداف هدامة!! لا أدري ماذا يقصدون بالأهداف الهدامة، هل هي عقيدتهم بالإمامة، أو اتباعهم لأهل البيت (عليهم السلام)، أو ماذا؟! أم يقصد معارضتهم لحكام الجور والطغيان بشكل دائم ومستمر؟! إن التقيّة لم تجعل من الشيعة جمعية سرّية، ولن تفعل ذلك. وإذا كانت حكومات الظلم والجور ألجأتهم للتخفي فراراً من سطوتها، فإن هذه حالة طارئة تزول بزوال تسلط أولئك الحكام. وهذا حال كل الحركات السياسية التي تتعرض لمثل هذه الضغوط. مثل هذه التهم يثيرها الإعلام الرسمي لسلطين الجور، الذين يحرصون على تشويه صورة الحركات المعارضة وإصاق مختلف التهم بها، كما هي سيرتهم في كل عصر. التقيّة عند الشيعة لها أحكامها الشرعية، وتخضع للشروط والضوابط المقررة شرعاً. وقد تقدم معنا أن التقيّة لا تجوز بوجه إذا

(١) السرخسي: المبسوط ٢٤ / ٤٥.

كانت تؤدي إلى الفساد في الدين، فكيف يقال إنها تؤدي إلى محق الدين؟! لقد شرّعت التقية من أجل حفظ حدود الدين وأركانه لا من أجل محقه. ثم كيف يعمى عن الواقع الخارجي؟ إن الشيعة اليوم المنتشرين في أرجاء المعمورة يجاهرون بعقيدتهم أكثر من غيرهم، فمساجدهم مفتوحة، ومكاتباتهم عامرة، وكتبهم منتشرة، وصحفهم ومجلاتهم، وخطبائهم ومنابرهم في كل مكان. إن ظروف الحاجة إلى التقية زالت وارتفعت، وإذا كان هنالك فريق في الدنيا اليوم لا يمارس التقية فهم الشيعة. الأكثر غرابة أن البعض يصر على هذه الحماقة ويخفي رأسه في التراب كالنعام، فيقول: إن كل هذا من باب التظاهر والتقية، وإلا فالواقع غير ذلك!! الحمد لله الذي جعله ممن يطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأعطاه هذه الفطنة وهذا الذكاء الخارق حتى لا يخدع أبداً. وقد تقدم في فصل «دور التقية في حفظ الدين» ما يفي بالجواب أيضاً.

٤ - شبهة كون التقية من البدع:

الحقيقة أن من يدعي أن التقية من البدع، لا بد أنه خفي عليه معنى البدعة. البدعة هي إدخال شيء في الدين ليس منه. وعلى ضوء ما قدمنا من الأدلة على مشروعية التقية وأحكامها من الكتاب والسنة والعقل، فكيف صارت من البدع، لعله خلط بين المفهوم والمصداق، ورأى أن التقية لكثرة ما مورست من قبل الشيعة صارت شعاراً لهم، وكانوا الفريق

الذي يضطر للعمل بها دون غيرهم فتوهم أن فكرة التقيّة من مخترعاتهم. وقد قدمنا أنها ليست من مختصات الشيعة، فلا نعيد.

٥ - شبهة كون التقيّة أول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بين الشيعة وغيرهم.

لقد ادعى ذلك بعض المغرضين الذين يحبون اثاره الفتن ووضع العقبات أمام تقارب الفرق والمذاهب الإسلامية، هؤلاء الذين يعملون خدمة لمصالح أسيادهم والذين يلتزمون بمبدأ فرق تسد. التقيّة لم تكن في أي يوم من الأيام حائلاً دون التقارب والتجاوب الصادق، أولاً لأن التقيّة لم تمارس خوفاً من أهل السنة، وإنما مورست خوفاً من حكام الجور. وثانياً لأن التقيّة، على العكس تماماً، تمهد الأجواء للتقارب والتجاوب الصادق. فإن الشيعة لا يبطنون البغض والعداوة لإخوانهم المسلمين، وإذا كان هناك عداًء بين الشيعة وبين أحد فهو بينهم وبين أعداء الدين، من أهل الكفر والنفاق وسلاطين الجور الذين عاثوا في الأرض فساداً، وأهلكوا الحرث والنسل، نعم لا يوجد مجال للتجاوب الصادق مع هؤلاء. لكن متى كان هناك موانع للتجاوب بين المسلمين غير أعدائهم الذين يحرسون على زرع الخلاف والشقاق. فإن الخلافات الفكرية والمذهبية ليست بالحقيقة موانع من التجاوب والتقارب، وإنما هي ثغرات ينفذ من خلالها أعداء الدين لإثارة النزاعات. ولقد قام أقطاب التقريب بخطوات عظيمة في التأليف بين

الأمة، ولم يجدوا أن التقيّة مانع من متابعة نشاطهم.الجمهورية الإسلامية في إيران، هذه الدولة التي نعيش في ظلها الآن ونجتمع على أرضها من كل أنحاء العالم الاسلامي، تشكل دليلاً حسيّاً قاطعاً على أن التجاوب ممكن، وأنه لا يوجد أي عائق في طريق التقارب الصادق والمخلص، سوى هذا الفريق الشيطاني الذي يمارس دور الفايروس، فيزرع الفتن هنا وهناك وينفق الأموال الطائلة في سبيل تجيش المسلمين بعضهم ضد بعض وإثارة الأحقاد والضغائن، ويكفر هذا وذاك.إن الدول العظمى التي تعتبر الإسلام عدوها الأول، وتدرك أن وحدة المسلمين وتكاتفهم تنتزع من أيديهم زمام الأمور، وتفقدهم العديد من مواقع القوة، وتفوت عليهم فرصة الاستفادة من الثروات المودعة في أراضيهم؛ ثم هي تثير في نفوس مستضعفي العالم خارج العالم الإسلامي الدوافع نحو التحرر، وتوقظ فيهم روح التمرد على مستعمرهم وناهيي ثرواتهم. إن هذه الدول تسعى بجهد وباستمرار لزرع الفرقة والشقاق مستفيدة من كل الوسائل ومن كل الأدوات؛ ونحن أشد ما نخشاه وما نتحاشاه هي الأدوات الداخلية التي تؤدي خدمات جليلة لتلك الدول، وهي أقدر على تنفيذ مخططاتها المشؤومة.نحن ندعو جميع اخواننا المسلمين لليقظة والحذر، وتجاوز القضايا البسيطة وعدم اعطاء الفرص للعدو ليستفيد منها. ندعو جميع اخواننا المسلمين للعمل بإخلاص من أجل وحدة الصف ولمّ الشمل، وتجميع القوى لتكون في مواجهة الحركة الصهيونية والصليبية التي تريد القضاء على الإسلام.إن

الطاقات التي تهدر في أفغانستان وضاعت سدىً في اليمن، والتي دمرت سابقاً في العراق والخليج، وتلك الطاقات والقوى المرابطة على الخطوط الحمراء الوهمية الفاصلة بين الأقطار الإسلامية، لو قدر أن تجتمع في مواجهة الصهيونية لكانت أكثر من حاسمة. نسأل الله تعالى أن يجمعنا على الهدى وأن يؤلف قلوبنا. والسلام عليكم ورحمة الله.

كشف بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الاحتجاج، أبو منصور الطبرسي، انتشارات اسوة، قم، ١٤١٣هـ.
- ٣ - إحقاق الحق، القاضي التستري، مكتبة السيد المرعشي، قم.
- ٤ - أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت مصورة عن طبعة ١٣٣٥هـ.
- ٥ - إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت طبعة مصورة بالآوفاست.
- ٦ - إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي، نشر جامعة مشهد ١٣٤٨هـ. ش.
- ٧ - الأدب في ظل التشيع، عبدالله نعمة، دار التوجيه الاسلامي بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٨ - الإرشاد، الشيخ المفيد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ.
- ٩ - الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي.
- ١٠ - الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م طبعة سادسة.

- ١١٨.....التقية عند أهل البيت(ع)
- ١١ - إعلام الوري، ابو علي الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف،
١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ١٢ - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت،
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٣ - أقرب الموارد، الشرتوني، مكتبة السيد المرعشي، قم طبعة
مصورة على طبعة بيروت.
- ١٤ - أمالي الشيخ الطوسي، الطوسي، المكتبة الأهلية، بغداد،
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٥ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، دار الكتاب
العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م.
- ١٦ - بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية،
طهران طبعة أولى مطابقة لطبعة دار احياء التراث.
- ١٧ - بحوث من أهل السنة والسلفية، السيد مهدي الروحاني،
المكتبة الإسلامية، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٨ - البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت،
١٩٦٦م.
- ١٩ - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت،
مصورة بالأوفست.
- ٢٠ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية
الكبرى، مصر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

- كشفت بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة ١١٩
- ٢١ - تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.
- ٢٢ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ٢٣ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، مكتبة الأمين، النجف.
- ٢٤ - التحصيل أيام التعطيل، الطبسي الحائري، دار فذك، مشهد.
- ٢٥ - تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٦٣هـ. ش - ١٤٠٤هـ. ق.
- ٢٦ - تدوين السنة النبوية، محمد رضا الجاللي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ ق - ١٣٧١هـ ش.
- ٢٧ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية.
- ٢٨ - تفسير غرائب القرآن، النيسابوري، هامش تفسير الطبري، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٩ - التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.
- ٣٠ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، طبعة ثانية بالأوفست.

- ١٢٠.....التقية عند أهل البيت(ع)
- ٣١ - التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري، مدرسة الامام المهدي، قم.
- ٣٢ - تلخيص الشافي، محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٣٣ - تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، النجف ١٣٧٨هـ.
- ٣٤ - تهذيب تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٥ - تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، مصورة عن طبعة الهند ١٣٢٦ هـ.
- ٣٦ - التوحيد، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٣٩٨هـ ق - ١٣٥٧هـ ش .
- ٣٧ - جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، المطبعة العلمية، قم.
- ٣٨ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
- ٣٩ - الحياة السياسية للإمام الرضا، جعفر مرتضى العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣هـ ق - ١٣٦٢ هـ ش.
- ٤٠ - الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩هـ.

- كشفت بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة ١٢١
- ٤١ - الخصال، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣هـ ق - ١٣٦٢هـ ش.
- ٤٢ - دراسات في عقيدة الشيعة الإمامية، محمد علي الحسيني، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٤٣ - رسالة في التقية، الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ١٤١٢هـ.
- ٤٤ - روح التشيع، عبدالله نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٥ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٤٦ - السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت.
- ٤٧ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- ٤٨ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار صادر، بيروت تصوير طبعة ليدن.
- ٤٩ - الشفاء، القاضي عياض، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٥٠ - جامع الأخبار، الشعيري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥١ - الشيعة والسنة، احسان ظهير، ادارة ترجمان السنة، لاهور، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- ١٢٢.....التقية عند أهل البيت(ع)
- ٥٢ - صحيفة نور، مجموعة خطب الإمام الخميني، باللغة الفارسية، طبعة أولى طهران.
- ٥٣ - ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العاشرة.
- ٥٤ - طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م.
- ٥٥ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت.
- ٥٦ - علل الشرائع، الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٥٨ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٥٧ - علم أصول الفقه، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥ م.
- ٥٨ - عوالي اللالكلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
- ٥٩ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٦٠ - قرب الإسناد، الحميري، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ.
- ٦١ - الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هـ.
- ٦٢ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م.

- كشفت بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة ١٢٣
- ٦٣ - كتاب سليم بن قيس، الهلالي، مؤسسة البعثة، طهران، ١٤٠٧هـ.
- ٦٤ - كفاية الأثر، الخزاز القمي، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١هـ.
- ٦٥ - كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٩٥هـ. ٦٦ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت. ٦٧ - لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، مصورة على طبعة الهند ١٣٣٠هـ. ٦٨ - المبسوط، السرخسي، دار الفكر، بيروت. ٦٩ - مجمع البيان، أبو علي الطبرسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ ق - ١٣٣٩هـ ش.
- ٧٠ - المحاسن، البرقي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ١٤١٣هـ.
- ٧١ - مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ ق - ١٣٥٣هـ ش.
- ٧٢ - مستدرک وسائل الشيعة، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لحياء التراث، قم، ١٤٠٨هـ.
- ٧٣ - مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة على طبعة الميمنية.
- ٧٤ - المصنف، عبدالرزاق الصنعائي، المجلس العلمي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٧٥ - المصنف في الأحاديث والأخبار، الحافظ ابن أبي شيبة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ١٢٤.....التقية عند أهل البيت(ع)
- ٧٦ - معاني الأخبار، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ١٣٧٩هـ - ق ١٣٣٨هـ ش.
- ٧٧ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م طبعة محققة.
- ٧٨ - من لا يحضره الفقيه، الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية.
- ٧٩ - المواسم والمراسم، جعفر مرتضى العاملي، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٨٠ - الموافقات، الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، مصورة على طبعة المكتبة التجارية بمصر.
- ٨١ - موسوعة الاستخبارات والأمن، علي دعموش، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٨٢ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ٨٣ - النزاع والتخاصم بين أمية وبنو هاشم، المقرئزي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٨م.
- ٨٤ - النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، ابن عقيل العلوي، مؤسسة الفجر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٨٥ - نهج البلاغة، مجموعة خطب الإمام جمعها الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، دار الهجرة، قم.

كشف بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة ١٢٥

٨٦- وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،

قم، ١٤٠٩هـ

٨٧- الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر.

٨٨- مقاتل الطالبين، ابو الفرج الأصبهاني، تحقيق السيد أحمد

صقر، القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.

٨٩- الشيعة في التاريخ، محمد حسين الزين، مطبعة العرفان، صيدا،

١٣٥٧هـ - ١٩٣٨ م.

المضامين

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
كلمة لا بدّ منها.....	٥
تمهيد.....	١٣
المفهوم في اللغة والإصطلاح:.....	١٤
أدلة شرعيّتها:.....	١٦
١ - الكتاب الكريم:.....	١٦
٢ - السنة الشريفة:.....	١٩
٣ - دليل العقل وسيرة العقلاء:.....	٢٥
التقيّة عند أهل السنّة:.....	٢٧
تقيّة ابن عمر وغيره في الزكاة:	٣١
أقوال المفسرين:.....	٣٢
موارد التقيّة:.....	٣٥
لمحة عن الظروف التي دعت الشيعة للعمل بالتقيّة:.....	٤٢
١ - في عصر بني أمية.....	٤٥
٢ - في عصر بني العباس.....	٤٨
محنة خلق القرآن.....	٥٣
دور التقيّة في حفظ الدين:.....	٥٨
الدور الجهادي للشيعة:.....	٦٣

١٢٨.....	التقية عند أهل البيت(ع)
٧٢.....	كيف كان الأئمة(عليهم السلام) يمارسون التقيّة:
٧٩.....	التقية أم الاتقاء:
٨٢.....	وأما الشواهد الروائية:
٨٦.....	بعض أنحاء التقية:
٩٠.....	التقية وأسلوب التورية:
٩٥.....	الخروج عن الحدّ في التقية:
٩٩.....	التقية والتعارض بين الأخبار:
١٠١.....	١ - موافقة الكتاب
١٠١.....	٢ - مخالفة العامة
١٠٨.....	شبهات حول التقيّة
١٠٨.....	١ - شبهة كون التقية من أصول الدين:
١٠٩.....	٢ - شبهة كون التقية من النفاق:
١١١.....	٣ - شبهة كون التقية تؤدي إلى محق الدين:
١١٢.....	٤ - شبهة كون التقية من البدع:
	٥ - شبهة كون التقية أول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بين الشيعة
١١٣.....	وغيرهم.
١١٧.....	كشف بالمصادر التي اعتمدها هذه الدراسة
١٢٧.....	المضامين